

تفسير
سورة الناس

تأليف

شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب

المتوفى سنة ١٢٠٦ هجرية

رحمه الله تعالى

تحقيق

د/ فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي

أستاذ مشارك - قسم الدراسات القرآنية

كلية المعلمين - الرياض

مؤسسة الرسالة



تأليف

شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب
المتوفى سنة ١٢٠٦ هجرية
رحمه الله تعالى

تحقيق

د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي
أستاذ مشارك - قسم الدراسات القرآنية
كلية المعلمين - الرياض

مؤسسة الرسالة





الطبعة الثانية ١٤١٤هـ

عنوان المؤلف :
المملكة العربية السعودية
ص.ب ١٥١٧٦ ـ الرياض ١١٤٤٤
هاتف (٤٧٦٦٢٧٩) و(٤٧٧٣٤٦١)



مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف : ٦٠٣٢٤٣ - ٨١٥١١٢ - ص.ب : ٧٤٦٠ . برقياً : بيوشران


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ»(١).

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا»(٢) «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا»(٣)

امـــا بعـــد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار،،، وبعد:

فإن الشرور التي تصيب الإنسان ــ أعاذنا الله وإياكم منها ــ إما أن تكون من الخارج وإما أن تكون من الداخل ولا ثالث لهما.

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٢.

(٢) سورة النساء: الآية الأولى.

(٣) سورة الاحزاب: الآيتين ٧٠ــ٧١.

ولذا فقد وردت النصوص بالأمر بالاستعاذة بسورتي الفلق والناس. لاشتمالهما معا على الحرز من الشرور كلها داخلها وخارجها.

ففي سورة الفلق استعاذة من « شَرِّ مَا خَلَقَ » ومن « شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ » ومن «شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ» ومن «وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ» وهذه تشمل كل شر من خارج الانسان.

وفي سورة الناس استعاذة من شر الوسوسة التي هي أصل الشرور من داخل الإنسان.

و بالاستعاذة بالسورتين يحترز الإنسان من الشرور كلها داخلها وخارجها. ولضرورة أن يعرف المسلم الكلام الذي يستعيذ به و يناجي به ربه فقد بحثت عن تفسير لهما ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل حتى وقفت على مخطوطة لشيخ الإسلام الإمام/ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى. فسر بها السورتين، تبين لي أنها تلخيص من الشيخ لتفسير ابن القيم رحمه الله تعالى لهما فما زادني هذا إلا حرصا عليها فحسبك بابن القيم علما ومعرفة في موضوع هاتين السورتين خاصة وفي العلوم الشرعية عامة.

وحسبك بالشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى قدرة على التقاط درر الكلام وجواهره.

أما موضوع سورة «ٱلنَّاسِ» وهو « ٱلْوَسْوَاسِ » فقد يستهين به بعض الناس ويحسبونه أمرا هينا وقد يقول أحدهم ليس الخوف من الوسواس والوسوسة وإنما الخوف من تخلي بعض الشباب عن التمسك والالتزام

بالدين وغاب عن أذهان هؤلاء ــ ولم يجهلوا ــ أن أول معصية من البشر كانت عن طريق الوسوسة قال تعالى «فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ»(١) وقال سبحانه «فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا»(٢).

وقد ردَّ ابن القيم رحمه الله تعالى على أولئك الذين يرون أن الوسواس خير من التفريط في الدين فقال «وأما قولكم: إن الوسواس خير مما عليه أهل التفريط والاسترسال وتمشية الأمر كيف اتفق، إلى اخره.

فلعمر الله إنهما لطرفا إفراط وتفريط، وغلو وتقصير، وزيادة ونقصان وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن الأمرين في غير موضع.. فدين الله بين الغالي فيه والجافي عنه. وخير الناس النمط الأوسط، الذين ارتفعوا عن تقصير المفرطين ولم يلحقوا بغلو المعتدين وقد جعل الله سبحانه هذه الأمة وسطا، وهي الخيار العدل، لتوسطها بين الطرفين المذمومين والعدل هو الوسط بين طرفي الجور والتفريط، والآفات، إنما يتطرق الى الاطراف، والاوساط محمية باطرافها فخيار الأمور اوسطها»(٣).

ولهذا وذاك فقد بادرت لتحقيق تفسير سورة «ٱلْفَلَقِ» ونشرها مستقلة ثم حققت بعد ذلك سورة «ٱلنَّاسِ» وقد قصدت نشر كل سورة مستقلة عن الأخرى لما أشرت إليه في مقدمة تفسير سورة الفلق من أن عند الناس رغبة فيما قل ودل. وأن كثيرا منهم يزهد في المطولات من التفسير سيما أن الناس في هذا العصر يميلون إلى الكتب الموجزة والمختصرة التي تقرأ في

---

(١) سورة طه: الآية: ١٢٠.

(٢) سورة الاعراف: الآية: ٢٠.

(٣) إغاثة اللهفان: ابن القيم جـ: ١ص: ٢٠١.

مجلس أو مجلسين و يسميها بعضهم (كتب الجيب)[1].

ولأن القارىء أيضا إذا أتم قراءة تفسير سورة واحدة كان أنشط له وأبعث على التحصيل منه لو استمر في قراءة كتاب يشتمل على تفسير السورتين معا.

وقد حرصت في تفسير سورة الناس على التعليق على بعض المسائل وإلحاق بعض الفوائد المتعلقة بالموضوع خاصة من أقوال ابن القيم رحمه الله تعالى نفسه صاحب أصل التفسير سواء كان النقل من تفسيره أو من غيره، ونقلت عن بعض علماء المسلمين الآخرين.

فإن قيل: ما زدت على أن عمدت إلى تفسير مختصر ثم عدت إلى الأصل ونقلت منه ما حذف فأعدت التفسير إلى أصله فلم تأت بجديد.

قلت: هذا حق لو كان الأمر كما تقول، ولكن الأمر يختلف، فالمختصر لم أمس منه شيئا.

أما الهوامش والتعليقات فقد أوردت فيها من العلوم والمعارف ما أحسب أن التفسير الأصل بحاجة إلى احتوائها تعليقا وتوضيحا، وأوردت فيها أيضا ما ليس في التفسير الأصل مما أحسبه يزيد جلاء المعنى و يوضحه وما نقلته ــ بعد ذلك ــ من الأصل فإنما ليرتقى بمستوى التفسير درجة لمن يرى في نفسه استعدادا أكثر وليناسب درجات الباحثين فَيَنتقي كل باحث منه ما يناسب درجته، وقديما جرى العلماء على تأليف (البسيط) و(الوسيط) و(الوجيز) و(الكبير) و(الأ وسط) و(الصغير).

---

(١) مقدمة تفسير سورة الفلق: للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص: ٦.





فمن ضاق وقته عن الزيادة ففي المتن خير وزيادة، ومن اتسع وقته وتاقت نفسه إلى المزيد ففي الهوامش من كلام العلماء ما أحسب فيه فائدة ومن أراد أكثر من ذلك فدونه الأصول والأمهات(١).

التعريف بالمؤلف:

الحق أنى قد ترددت في الترجمة للمؤلف لأنه سبقت منى الترجمة له رحمه الله تعالى في تحقيقي لتفسيره لسورة الفاتحة، وفي تحقيقي لتفسيره لسورة الفلق.

ثم بدا لي أن الترجمة يجب أن تصاحب كل كتاب يطبع مستقبلا للشيخ، فقد يقع في يد من لا يعرف شيئا عن المؤلف ولم يقع في يده الكتاب الذي يحمل الترجمة فعزمت على أن أنقل الترجمة في كل كتاب أنشره من كتبه رحمه الله تعالى. وليكن هذا عذرى في تكرار الترجمة فأقول: «هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان آل مشرف التميمي، ولد سنة ١١١٥ في بيت علم وخلق وشرف، فقد كان أبوه قاضيا للعيينة، حفظ القرآن قبل أن يكمل اثنتى عشرة سنة من عمره، وقرأ الفقه والتفسير والحديث، ورحل في طلب العلم فبدأ رحلته بالحج، ثم ذهب إلى المدينة المنورة وأخذ عن علمائها حينذاك وفي المدينة رأى ما يقع فيه بعض اهلها من البدع والمنكرات عند قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وفي البقيع، وقد أنكر ذلك وحذر منه.

---

(١) مقدمة تفسير سورة الفلق للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ص٦.





ثم عاد إلى نجد وسافر منها إلى البصرة وأخذ عن علمائها كذلك ورأى في البصرة ما هو أشد مما رأى في المدينة المنورة، رأى القبور المُسْرَجَة والطائفين يتمسحون بالقبور والبدع والمنكرات، ولم يطق ــ رحمه الله ــ صبرا على ذلك فأنكر عليهم الباطل وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر فأخرجه أهلها وطردوه من البصرة في حمارّة القيظ حافي القدمين عاري الرأس ــ ليس عليه سوى ثوبه وقميصه .. وكاد الشيخ أن يهلك عطشا لولا أن هيأ الله له من حمله إلى الزبير وسقاه، وعاد منها إلى نجد عن طريق الأحساء، وعاد إلى حريملاء حيث نقل أبوه من قضاء العيينة إلى قضائها، ثم توفي والده سنة ١١٥٣هـ، فواجه وحده كيد خصوم الدعوة ولكن بعد أن ذاع صيته وانتشر خبر دعوته وألف في تلك الفترة كتابه (التوحيد الذى هو حق الله على العبيد) ثم ضاق أهل حريملاء بدعوته فطردوه وهمت طائفة من عبيدهم بقتله وتسوروا عليه بيته ولكن الله نجاه فذهب إلى العيينة واستقبله أميرها ابن معمر وأحسن وفادته، وهدم ما كان في العيينة وما حولها من قباب ومشاهد على القبور وقطع الأشجار التى يتبرك بها بعض الناس.

وما زال أعداء الدعوة يتربصون به حتى أخرج الشيخ من العيينة وتوجه إلى الدرعية ووجد من أميرها محمد بن سعود العون والمساعدة فتبايعا على نصرة دين الله وإحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإماتة البدعة.

وانطلقت الدعوة بعد أن اتخذت الدرعية قاعدة لها فكاتب الشيخ رؤساء البلدان وأهلها وعلماءها يدعوهم إلى الانضمام إلى دعوته فاستجاب كثير منهم. فأقيمت الفرائض والنوافل ومحقت البدع



والمحرمات وأزيلت المنكرات والشركيات وارتفعت كلمة التوحيد صافية نقية بعد أن شابها في تلك الفترة عبادة غير الله ودعوته.

وتفرغ الشيخ للعبادة والتعليم وتوافد عليه العديد من طالبي العلم الصحيح وألف عددا كبيرا من المؤلفات منها:

١ ــ كتاب التوحيد.

٢ ــ كتاب الإيمان.

٣ ــ كتاب أصول الإيمان.

٤ ــ فضائل الإسلام.

٥ ــ فضائل القرآن.

٦ ــ كشف الشبهات.

٧ ــ آداب المشي إلى الصلاة.

٨ ــ استنباط القرآن.

٩ ــ مسائل الجاهلية.

١٠ــ الكبائـــر.

١١ــ مفيد المستفيد بكفر تارك التوحيد.

١٢ــ الرد على الرافضة.

١٣ــ تفسير سورة الفاتحة. وقد قمت بتحقيقه والتعليق عليه وطبع مرارا.

وعددا من المختصرات مثل:

١ ــ مختصر الصواعق.

٢ ــ مختصر العقل والنقل.

٣ ــ مختصر منهاج السنة.

٤ ــ مختصر فتح البارى.

٥ ـ مختصر زاد المعاد.

٦ ـ مختصر الشرح الكبير والانصاف وغير ذلك.

وتوفي الشيخ رحمه الله تعالى سنة ١٢٠٦ رحمه الله رحمة واسعة وأجزل له الأجر والمثوبة وجَزاه خير ما يجزى به عباده الداعين إلى سبيله.. إنه سميع مجيب.

التعريف بالتفسير:

قلت إن هذا التفسير مختصر لتفسير ابن القيم، و ينبغي أن أؤكد هنا أن الشيخ لم يكن في تلخيصه آلة صماء، يبتر النص بترا، و يرقع الجمل ترقيعا، بل ظهرت شخصيته العلمية، و برزت معالم فكره، وما يؤيده وما لا يؤيده.

وقد يكون القصد في بعض المواضع الاختصار فحسب، وقد يظهر للمتمعن أن القصد ليس !الاختصار في مواضع أخرى، وذلك حين يحذف كلمة أو كلمتين بين جمل متصلة، في هذه الكلمة أو الكلمتين اعترك العلماء، وتعددت الأقوال، فإيرادها أخذ بقول وحذفها وحدها قد يكون رفضا لهذا القول و بذا يظهر جانب من شخصية الشيخ العلمية.

هذا فضلا عن زيادة في جملة، أو تغيير في عبارة، أو ر بط بين جملة وأخرى.

ولم يكن مرادى في تحقيق هذا التفسير المقارنة بين الأصل والمختصر وإنما هو إخراج هذا التفسير وتوضيح بعض العبارات وزيادة البيان، مع الإلتزام بان لا يخرج عن الحد الذى رسمته، ولا يقصر عن الوفاء الذى أردته حسب جهدى وطاقتي وأجزم بوقوع التقصير فأسأل الله الغفران.





وينبغي أن أوضح أيضا أن الشيخ رحمه الله تعالى قد اختصر هذا المختصر وطبع عدة مرات[1].

أصـــول الكتـاب:

بحثت في مكتبات كثيرة عن نسخ مخطوطة لهذا التفسير، وبعد بحث وتنقيب لم أعثر إلا على نسخة واحدة، أما بقية النسخ الواردة في فهارس بعض المكتبات فهي للتفسير المختصر لسورة الناس، وليست لهذا التفسير، وقد طبع هذا المختصر عدة مرات كما أشرت آنفا، أما هذا التفسير فلم أجده مطبوعا من قبل.

ولأجل التحقق من صحة النسخة المخطوطة وسلامتها من التصحيف أو التحريف قمت بمقابلتها على النسخ المطبوعة لتفسير سورة الناس لابن القيم رحمه الله تعالى ضمن (تفسير المعوذتين) وقد طبع عدة مرات وقابلتها على خمس طبعات لهذا التفسير هي:

١ ــ (تفسير المعوذتين) لابن القيم ضمن كتابه (بدائع الفوائد) في إدارة الطباعة المنيرية وذلك في الجزء الثاني من ص٢٤٧ الى ص: ٢٧٦.

٢ ــ أيضا ضمن (التفسير القيم) جمعه محمد أويس الندوي حققه محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.

---

(١) طبع في:

١ ــ الدرر السنية جـ: ١٠ ص: ٢٠٠.

٢ ــ روضة الأفكار الطبعة الهندية جـ: ١ص: ٣١١ــ٣١٢ المكتبة الأهلية جـ: ١ص: ٢٨٣ــ٢٨٤.

٣ ــ تاريخ نجد: لابن غنام حرره وحققه ناصر الدين الاسد ص٦٨١ــ٦٨٢.

٤ ــ مؤلفات الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب جـ: ٤ص: ٣٨٧ــ٣٨٩.

(انظر اثار الشيخ محمد عبد الوهاب: د. احمد الضبيب ص:١٤٧).

٣ ــ تفسير المعوذتين لابن القيم تحقيق وتعليق مصطفى بن العدوى مكتبة الصديق الطائف ــ الطبعة الاولى، ١٤٠٨هـ.

٤ ــ تفسير المعوذتين لابن القيم تصحيح عبد الصمد شرف الدين، الطبعة الثالثة ١٣٧٥هـ الدار القيمة ــ الهند.

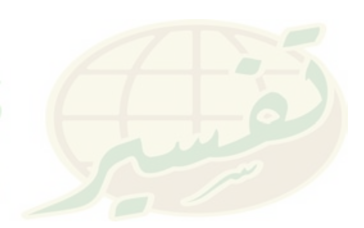
٥ ــ تفسير المعوذتين لابن القيم تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية بيروت.

ومعلوم أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى اختصر هذا التفسير من تفسير ابن القيم رحمه الله تعالى والتزم في أغلب المواضع بعبارة ابن القيم رحمه الله تعالى ولا يخالف هذا ما قلته في التعريف بظهور الشخصية العلمية للشيخ في اختصاره، فهو مع احتفاظه رحمه الله تعالى بالعبارة إلا أنه يحذف من العبارة ما لا يراه و يثبت ما يؤيده وقد يزيد كلمة أو يغير في عبارة كما أشرت مما يكفل إبراز رأيه في التفسير.

و بهذا يظهر أن مقابلة المخطوطة على هذه الطبعات لتفسير ابن القيم مفيد جدا وهذا ما حصل.

بل فوق هذا فقد استفدت من المخطوطة في مواضع من المطبوع إذ يظهر ان الشيخ رحمه الله تعالى قد لخص تفسيره من مخطوطة لم يطلع عليها أحد ممن قام بطبع تفسير ابن القيم وفيها اختلاف في بعض المواضع يفيد في تحقيق تفسير المعوذتين لابن القيم.

أما النسخة المخطوطة لهذا التفسير فقد صورتها من مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية وهي برقم (٢٣٢٠) وهي مصورة عن المتحف العراقي كما كتب بخط اليد وتقع في خمس صفحات، في كل صفحة نحو



ثلاثة وثلاثين سطرا، كما أنه يوجد نسخة لتفسير سورة الإخلاص ومعها تفسير المعوذتين في مكتبة الآثار العامة ــ ببغداد رقم (٣٥١٧٩)، ونسخة اخرى في خزائن مكتبة الأوقاف ببغداد برقم (٣٢٧٩) بعنوان (تفسير سورة الإخلاص، والفلق، والناس).

وقد طلبت تصويرهما عن طريق مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية وقد بادر المركز بإرسال طلب التصوير قبل سنتين ولم يتيسر ذلك، حتى الساعة، علما أني لا أعرف أي التفسيرين فيهما التفسير المختصر أو التفسير المطول للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وحين عزمت على السفر إلى العراق للاطلاع على هاتين النسختين وقع الغزو العراقي للكويت وتعذر السفر فرج الله عن المسلمين كربتهم وجنبهم الفتن ما ظهر منها وما بطن.

ولذا فقد اكتفيت بما عثرت عليه، وقابلته على المطبوع، ورأيت فيه الكفاية وزيادة فلم تلتبس علي كلمة، ولم تشكل علي عبارة بحمد الله وفضله وله المنه والحمد.

وليس السفر للاطلاع على المخطوطتين فحسب إذ هذا مما لا تستدعيه ضرورة بل مما يستغنى عنه كما أشرت ولكنه للاطلاع والبحث عن مخطوطات أخرى قد تكون موجودة هناك ــ لمؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب في التفسير ــ وما دام الأمر كذلك فلا ضير أن بادرت إلى إخراج هذا التفسير، وأجلت السفر إلى حين آخر، إن شاء الله تعالى.





هذا وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم وأن يغفر لي ما شابه من نقص أو قصور، إنه سميع مجيب وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي

الزلـفي ١٤١١/١/٢٣هـ



فهو يتمنى دوام ما هو فيه من نقص او عيب فهذا حسد على شيء مقدر عدم والاول حسد على شيء محقق وكلاهما حاسد عدو نعم الله وعدو
عباده ممقوت عند الله وعند عباده الثالث حسد الغبطة وهو تمني ان يكون له مثل حال المحسود من غير ان تزول النعمة عنه فهذا
لا باس به ولا يعاب صاحبه بل هذا قريب من المنافسة كما قال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا وسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس فهذا حسد غبطة
الحامل لصاحبه عليه حب خصال الخير والتشبه باهلها والدخول في جملتهم فيحدث له المنافسة والمسابقة مع محبته لمن يغبطه وتمني
دوام نعمة الله عليه فهذا لا يدخل في الآية بوجه ما وهذه السورة من اكبر ادوية المحسود فانها تتضمن التوكل على الله والالتجاء اليه والا
ستعاذة به من شر حاسد النعمة والله تعالى اعلم وأما سورة الناس فقد تضمنت ايضا استعاذة ومستعاذا به ومستعاذا منه و
مستعيذا فاما المستعاذ به فهو الله رب الناس ملك الناس اله الناس فذكر ربوبيته للناس وملكه اياهم والهيته لهم ولا بد من مناسبة
في ذكر ذلك في الاستعاذة من الشيطان فاضافهم في الكلمة الاولى الى ربوبيته المتضمنة لخلقهم وتربيتهم وتدبيرهم واصلاحهم
وحفظهم مما يفسدهم هذا معنى ربوبيته لهم وذلك يتضمن قدرته التامة ورحمته الواسعة وعلمه بتفاصيل احوالهم واجابة
دعواتهم وكشف كرباتهم واضافهم في الكلمة الثانية الى ملكه فهو ملكهم الحق الذي اليه مفزعهم في الشدائد والنوائب ولا صلاح لهم
ولا قيام الا به واضافهم في الكلمة الثالثة الى الهيته فهو الههم الحق ومعبودهم الذي لا اله سواه ولا معبود لهم غيره فكما انه وحده
هو ربهم ومليكهم لم يشاركه في ربوبيته ولا في ملكه احد فكذلك هو وحده الههم ومعبودهم فلا ينبغي ان يجعلوا معه
شريكا في الهيته كما لا شريك معه في ربوبيته وملكه وهذه طريقة القرآن يحتج عليهم باقرارهم بهذا التوحيد على ما انكروه من توحيد الالهية
والعبادة فاذا كان وحده هو ربنا وملكنا فلا مفزع لنا في الشدائد سواه ولا ملجأ لنا منه الا اليه ولا معبود لنا غيره فلا ينبغي ان يدعى ولا يخاف
ولا يرجى ولا يحب سواه ولا يذل لغيره ولا يخضع لسواه ولا يتوكل الا عليه لان من ترجوه وتخافه وتدعوه اما ان يكون مربيك
والقيم باموره فهو ربك فلا رب لك سواه او تكون مملوكه وعبده الحق فهو ملك الناس حقا وكلهم عبيده ومماليكه او يكون معبودك
الهك الذي لا تستغني عنه طرفة عين بل حاجتك اليه اعظم من حاجتك الى روحك وحياتك وهو الاله الحق اله الناس الذي لا اله لهم سواه
فهم جديرون ان لا يستعيذوا بغيره ولا يستنصروا بسواه فظهرت مناسبة هذه الاضافات الثلاث للاستعاذة من اعدى العدو
واعظمهم عداوة ثم انه سبحانه كرر الاسم الظاهر ولم يوقع المضمر موقعه فيقول رب الناس وملكهم والههم تحقيقا لهذا المعنى فاعاد ذكرهم
عند كل اسم من اسمائه ولم يعطف بالواو لما فيها من الايذان بالمغايرة وقدم الربوبية لعمومها وشمولها لكل مربوب وأخر الالهية
لخصوصها لانه سبحانه انما هو اله من عبده ووحده واتخذه الها دون غيره فمن لم يعبده ويوحده فليس باله له وان كان في الحقيقة
لا اله له سواه ولكن ترك الهه الحق واتخذ الها غيره ووسط صفة الملك بين الربوبية والالهية لان الملك هو المتصرف بقوله وامره
المطاع اذا امر فملكه لهم تابع لخلقه اياهم فملكهم من كمال ربوبيته وكونه الههم الحق من كمال ملكه فربوبيته تستلزم ملكه وملكه
يستلزم الهيته فهو الرب الملك الاله خلقهم بربوبيته وقهرهم بملكه واستعبدهم بالهيته فتأمل هذه الجلالة وهذه العظمة التي
تضمنتها هذه الالفاظ الثلاثة على ابدع نظام واحسن سياق رب الناس ملك الناس اله الناس وقد اشتملت هذه الاضافات الثلاث
على جميع قواعد الايمان وتضمنت معاني اسمائه الحسنى اما تضمنها لمعاني اسمائه الحسنى فان الرب هو القادر الخالق البارئ المصور
الحي القيوم العليم السميع البصير المحسن المنعم الجواد المعطي المانع الضار النافع المقدم المؤخر يهدي ويضل ويسعد ويشقي ويعز ويذل
الى غير ذلك من معاني الربوبية واما الملك فهو الآمر الناهي المعز المذل الذي يصرف امور عباده كما يحب ويقلبهم كما يشاء وهو العزيز
الجبار المتكبر الحافظ الرافع المعز المذل العظيم الجليل الوالي المتعالي الملك المقسط الجامع الى غير ذلك من الاسماء العائدة الى الملك
واما الاله فهو الجامع لصفات الكمال ونعوت الجلال فيدخل في هذا الاسم جميع الاسماء الحسنى ولهذا كان القول الصحيح ان الله اصله الاله
وان اسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الاسماء الحسنى والصفات العليا واسرار كلام الله اجل واعظم من ان تدركها عقول البشر وانما غاية
ما الى العلماء الاستدلال بما يظهر منها على ما وراءه وهذه السورة مشتملة على الاستعاذة من الشر الذي هو سبب الذنوب والمعاصي

الصفحة الأولى لمخطوطة المتحف العراقي .




بسم الله الرحمن الرحيم

وأما سورة الناس(١).

فقد تضمنت أيضا:(٢).

مستعاذا بـــه.

ومستعاذا منـــه.

---

(١) هذه السورة من المعوذات. وقد ورد في فضلهن أحاديث منها: (حديث عائشة) رضي الله عنها «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات و ينفث، فلما اشتد وجعه كنت اقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها». رواه البخاري جـ:٦ص: ١٠٥ـــ١٠٦.
و(حديث عائشة) رضي الله عنها «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما (قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ) و(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ) و(قل اعوذ برب الناس) ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات.
رواه البخاري جـ: ٦ ص: ١٠٦.
و(حديث عقبة بن عامر) رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط؟ قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس» رواه مسلم جـ: ١ص: ٥٥٨.
(وتأمل) أن الاستعاذة هنا لابد من سبقها بـ(قل) فإن قلت المناسب أن يتعوذ المتعوذ بـ (أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ) و(أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ) من غير لفظ قل (قلت) إن المقصود أن يجمع المتعوذ بين القرآن والاستعاذة فإذا حذف لفظ قل، فإنما هي استعاذة و بالإتيان بها تكون قرآنا واستعاذة فالمقصود التعوذ بالسورتين المذكور فيهما الاستعاذة من حيث انهما كلام الله المجيد والسورة هي مجموع (قل أعوذ) إلى تمام السورة و بدون (قل) بعض السورة وليس الغرض التكلم بهذه الكلمات فربما لا تنفع لو غير النظم القرآني مع أنه تكلم بجميع تلك الكلمات. والله أعلم.
(انظر جامع البيان في تفسير القرآن: للأيجي جـ: ٢ص: ٤٤٥ـــ٤٤٦).

(٢) أي كما تضمنت ذلك سورة الفلق التي سبق للشيخ أن فسرها.

ومستعيـــذا.[1][2]

فـأمـا المـسـتـعـاذ بـه فهو: الله (رب الناس، ملك الناس، إله الناس) فذكر ربوبيته للناس، وملكه إياهم، وإلهيته لهم[3]. ولابد من مناسبة في ذكر ذلك في الاستعاذة من الشيطان[4].

---

(١) ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى أن هذه السورة تضمنت أيضا استعاذة ومستعاذا به ومستعاذا منه، (تفسير المعوذتين: ابن القيم) اما الشيخ رحمه الله تعالى فاستبدل بالاستعاذة المستعيذ. و يظهر لي ــ والله أعلم أن الاستعاذة أظهر وأصح.

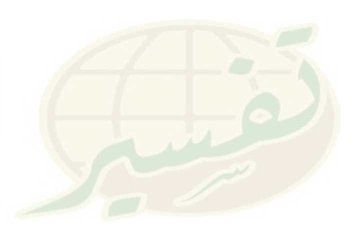
(٢) في المخطوطة (مستعاذ به، ومستعاذ منه، ومستعيذ) وهو لحن فصححته.

(٣) قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب ــ رحمه الله تعالى ــ في تفسيره للفاتحة: «فذكر في أول هذه السورة التي هي أول المصحف (الألوهية) و(الربوبية) و(الملك) كما ذكر في آخر سورة في المصحف (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ مَلِكِ ٱلنَّاسِ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ)، فهذه ثلاثة أوصاف لربنا تبارك وتعالى ذكرها مجموعة في موضع واحد في أول القرآن، ثم ذكرها مجموعة في موضع واحد في آخر ما يطرق سمعك من القرآن فينبغي لمن نصح نفسه أن يعتني بهذا الموضع و يبذل جهده في البحث عنه و يعلم أن العليم الخبير لم يجمع بينهما في أول القرآن ثم في آخر القرآن إلا لما يعلم من شدة حاجة العباد إلى معرفتها ومعرفة الفرق بين هذه الصفات فكل صفة لها معنى غير معنى الصفة الأخرى «تفسير سورة الفاتحة ص: ٤٣ــ٤٤.

(قلت): و يؤكد هذا المعنى ان الله ــ عز شأنه ــ جمع هذه المعاني الثلاثة في مواضع من القرآن منها قوله سبحانه «فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ » (المؤمنون:١١٦).

وقوله تعالى: « ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ » (الزمر:٦) ولعله في هذا الجمع يكمن معنى التوحيد والله أعلم.

(٤) كما قرر المؤلف رحمه الله تعالى في الدعاء ان الله سبحانه (يسأل لكل مطلوب باسم يناسبه) تفسير سورة الفلق ص:١٩، أي بنحو يارزاق ارزقني ياهادى اهدنى.. كما قرر ذلك قرر هنا أن الاستعاذة أيضا لابد من المناسبة فيها بين الاسم المستعاذ به و بين المستعاذ منه وقد قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «ولابد من أن يكون ما وصف به نفسه في هاتين السورتين (الفلق والناس) يناسب الاستعاذة المطلوبة و يقتضي دفع الشر المستعاذ منه اعظم مناسبة وابينها». ثم قال «فلابد ان يكون الاسم المستعاذ به مقتضياً للمطلوب وهو دفع الشر المستعاذ منه أو رفعه» تفسير المعوذتين: ابن القيم: ص: ٢٣.



فأضافهم(١) في الكلمة الأولى(٢) إلى ربوبيته(٣)، المتضمنة خلقهم، وتربيتهم، وتدبيرهم، وإصلاحهم، وحفظهم مما(٤) يفسدهم، وهذا معنى ربوبيته لهم، وذلك يتضمن(٥) قدرته التامة، ورحمته الواسعة، وعلمه بتفاصيل أحوالهم، وإجابة(٦) دعواتهم، وكشف كرباتهم(٧).

وأضافهم في الكلمة الثانية(٨) إلى ملكه، فهو ملكهم الحق الذى إليه مفزعهم في(٩) الشدائد والنوائب(١٠) فلا صلاح لهم، ولا قيام إلا به.

وأضافهم في الكلمة الثالثة(١١) إلى الهيته(١٢) فهو الههم الحق،

---

(١) هذا بيان للمناسبة بين الاسم المستعاذ به والأمر المستعاذ منه المطلوب دفعه وهو الوسواس كما سيأتي.

(٢) أي قوله سبحانه (رب الناس).

(٣) قال ابن تيميه رحمه الله تعالى «الرب هو المربي الخالق الرازق الناصر الهادى» مجموع الفتاوى جـ: ١٤ ص: ١٣.
وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن «توحيد الربوبية هو العلم والإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه وهو المدبر لأمور خلقه جميعهم» بضع رسائل ص٨٤.

(٤) في المخطوطة لمن والصواب كما جاء في تفسير ابن القيم رحمه الله تعالى (مما).

(٥) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية: لابن قاسم جـ: ٣ص: ١١٢.

(٦) في المخطوطة (وبإجابة) والصواب ما أثبته من تفسير ابن القيم.

(٧) ووجه تضمن الربوبية لذلك أن الربوبية وهي الخلق والرزق والهداية والتربيه والتدبير والإصلاح وغير ذلك يقتضي كل منها أمرا فالخلق يقتضي القدرة والتربية والتدبير يقتضيان الرحمه والعلم بالأحوال وإجابة الدعوة وكشف الكربة وهكذا وبذا تتحقق الربوبية.

(٨) أي قوله سبحانه (ملك الناس).

(٩) في تفسير ابن القيم (عند الشدائد) ولا فرق يذكر فابقيت نص المخطوطة.

(١٠) الهمز في سائر المخطوطة في نحو هذه الكلمات يكون بالياء نحو الشدايد والنوايب، وكتبته بالهمز دون الاشارة الى ذلك فيما بعد.

(١١) أي قوله سبحانه (إله الناس).

(١٢) قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب ــ رحمه الله تعالى ــ في تفسير الفاتحة ص:٤٢ [الاله أي: المعبود لقوله تعالى « وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ »(الانعام:٣). أي المعبود في السموات والمعبود في الأرض]أهـ.

- وتوحيد الألوهية هو إفراد الله تعالى بالعبادة و يسمى هذا النوع من التوحيد (توحيد العبادة) وهو توحيد الله بفعل العبد وتوحيد الر بوبية توحيد الله بفعله.

والعلاقة بين توحيد الر بوبية وتوحيد الألوهية أن توحيد الر بوبية مستلزم لتوحيد الألوهية، وأن توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الر بوبية. و بيان ذلك أن الإقرار بالر بوبية وأن الله هو الخالق الرزاق المدبر يوجب عبادته وحده لا شريك له وهذا هو توحيد الالوهية.

ومن عبد الله وحده ولم يشرك معه احدا فلابد أن يكون قد اعتقد أنه خالقه ورازقه ومدبره ومربيه وهاديه، وهذا هو توحيد الر بوبية. والر بوبية والألوهية إذا ذكرا معا افترقا في المعنى فلكل واحد منهما معناه الخاص الذى أشرنا إليه آنفا.

وقد تطلق الر بوبية و يراد بها الألوهية في نحو قوله تعالى «ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ »(الحج: ٤٠).

أي إلهنا الله ونحو قوله تعالى « قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا »(الانعام: ١٦٤).

أي إلها. ونحو قوله تعالى « إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ »(فصلت: ٣٠) أي إلهنا الله.

وتوحيد الألوهية هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل لأن توحيد الر بوبية يقر به الناس كلهم مسلمهم وكافرهم، إلا من شذ كما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى.

و ينبغي أن أبين هنا أن طائفة من علماء الكلام والصوفية أخطأت في تعريف التوحيد الذي بينه القرآن ودعت إليه الرسل فزعموا أن التوحيد هو الإقرار بأن الله هو الخالق المدبر، ومن أقر بذلك صار عندهم مسلما وقالوا إن التوحيد هو الإقرار بوجود الله وانه الخالق الرازق..الخ، ثم يوردون أدلة توحيد الر بوبية. قال ابن تيمية رحمه الله تعالى عن هؤلاء «ومعلوم أن هذا هو تحقيق ما أقر به المشركون من التوحيد، ولا يصير الرجل بمجرد هذا التوحيد مسلما، فضلا عن أن يكون وليا لله، أو من سادات الأولياء.

وطائفة من أهل التصوف والمعرفة يقرون هذا التوحيد مع إثبات الصفات فيفنون في توحيد الر بوبية مع إثبات الخالق للعالم المباين لمخلوقاته، وآخرون يضمون هذا إلى نفي الصفات فيدخلون في التعطيل مع هذا، وهذا شر من حال كثير من المشركين». إلى أن قال رحمه الله تعالى «فإقرار المشرك بأن الله رب كل شيء، ومليكه، وخالقه، لا ينجيه من عذاب الله إن لم يقترن به إقراره بانه لا إله إلا الله فلا يستحق العبادة أحد إلا هو وأن محمدا رسول الله فيجب تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر»أهـ.

مجموع الفتاوى: جـ: ٣، ص: ١٠٢ و١٠٥.

وقد أطلت الحديث في هذه المسألة لأهميتها في جانب العقيدة وخفاء الحق فيها عن كثير من الناس، ومع هذا فاتصالها بسورة الناس ظاهر في آيتين منها (رب الناس) و(إله الناس) وانظر شرح العقيدة الطحاوية جـ: ١ص: ٣٦ـ٣٧ والإرشاد الى صحيح الاعتقاد: د. صالح الفوزان ص٢٣ـ٢٥.




ومعبودهم الذى لا إله لهم(1) سواه، ولا معبود لهم غيره، فكما أنه وحده هو ربهم ومليكهم لم يشاركه(2) في ربوبيته ولا في ملكه أحد، فكذلك(3) هو وحده إلههم ومعبودهم فلا ينبغي أن يجعلوا معه شريكا في إلهيته، كما لا شريك معه(4) في ربوبيته وملكه.

وهذه طريقة القرآن يحتج(5) عليهم بإقرارهم(6) بهذا التوحيد على ما أنكروه من توحيد الإلهية والعبادة.

---

(1) في المخطوطة (لا إله سواه) وأثبت ما في تفسير ابن القيم لقوله بعد (ولا معبود لهم غيره).

(2) في تفسير ابن القيم (لم يشركه).

(3) إشارة إلى أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية.

(4) في المخطوطة (كمالا معه شريك) وأثبت ما في تفسير ابن القيم.

(5) لم يظهر لي احتجاج في قوله تعالى « قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ مَلِكِ ٱلنَّاسِ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ » وإنما الاحتجاج ورد في قول المفسر آنفا (فكما أنه وحده هو ربهم.. فكذلك هو وحده إلههم ومعبودهم) إلا أن كان يقصد الوجه الذي ذكره في ترتيب الصفات الثلاث الربوبية، الملك، الألوهية، واستلزام الربوبية للملك واستلزام الملك للألوهية. كما سيأتي بيانه.
والطريقة التي يشير إليها هي قياس التمثيل وهي أحد أساليب الاستدلال في القرآن وذلك بأن يقيس الأمر الذى يدعيه على أمر معروف عند من يخاطبه أو يقر به نحو قوله تعالى « وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ » (يس: ٧٨ــ٧٩). انظر مناهج الجدل في القرآن، د. زاهر الألمعي ص: ٧٢.

(6) قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في تفسير كلمة التوحيد مبينا وجه اقرار المشركين بتوحيد الربوبية: «ان الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلهم ونهب اموالهم واستحل نساءهم كانوا مقرين لله سبحانه بتوحيد الربوبية. وهو أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ولا يدبر الأمور إلا الله وحده كما قال تعالى « قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ »» (يونس: ٣١). مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب: القسم الأول ص ٣٦٥.



فإذا كان هو ربنا ومليكنا(١) فلا مفزع لنا في الشدائد سواه، ولا ملجأ لنا منه إلا إليه، ولا معبود لنا غيره، فلا ينبغي أن يدعى ولا يخاف، ولا يرجى ولا يحب سواه، ولا يذل لغيره، ولا يخضع لسواه، ولا يتوكل إلا عليه(٢)، لأن من ترجوه وتخافه وتدعوه إما أن يكون مربيك والقيم بأمورك فهو(٣) ربك فلا رب لك سواه(٤) أو تكون مملوكه وعبده الحق، فهو ملك الناس حقا وكلهم عبيده ومماليكه، أو يكون معبودك وإلهك الذي لا تستغني عنه طرفة عين، بل حاجتك إليه أعظم من حاجتك الى روحك وحياتك(٥) وهو الإله الحق إله الناس الذى لا إله لهم سواه، فهم جديرون أن لا يستعيذوا بغيره ولا يستنصروا بسواه، فظهرت مناسبة هذه الإضافات الثلاث للاستعاذة من أعدى الأعداء(٦) وأعظمهم عداوة.

---

(١) في تفسير ابن القيم (وملكنا) و يشهد لما في المخطوطة قوله قبل أسطر (فكما أنه وحده هو ربهم ومليكهم).

(٢) هذه الأمور التي ذكرها من أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها لغير الله تعالى ومن صرف منها شيئا لغير الله فهو مشرك كافر ودليل الدعاء «وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ»(المؤمنون:١١٧).
ودليل الخوف قوله تعالى « فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ »(آل عمران:١٧٥). ودليل الرجاء قوله تعالى: «فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا»(الكهف:١١٠).
ودليل المحبة قوله تعالى «وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ» (البقرة:١٦٥) ودليل الرغبة والرهبة والخشوع في قوله تعالى «إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ »(الأنبياء:٩٠) ودليل التوكل قوله تعالى «وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ»(المائدة: ٢٣).

(٣) في تفسير ابن القيم (وهو ربك).

(٤) في تفسير ابن القيم (فلا رب سواه).

(٥) في تفسير ابن القيم (حياتك وروحك).

(٦) في المخطوطة (أعداء العدو) وهو خطأ فأثبت ما في تفسير ابن القيم.

ثم إن الله سبحانه كرر الاسم الظاهر(١)، ولم يوقع المضمر موقعه(٢)، فيقول: رب الناس، وملكهم، وإلههم، تحقيقا لهذا المعنى(٣)، فأعاد ذكرهم عند كل اسم من أسمائه(٤).

---

(١) أي (الناس) في قوله تعالى «رب الناس، ملك الناس، إله الناس».

(٢) في المخطوطة (وقعه) وهو خطأ فأثبت ما في تفسير ابن القيم.

(٣) أي المناسبة التي بيّنها للإضافات الثلاث.

(٤) الإظهار في موضع الإضمار هنا في قوله تعالى (ملك الناس، إله الناس) ولم يقل ملكهم، وإلههم، وقيل في تعليل ذلك أن قوله تعالى (رب الناس) قد يقال لغيره تعالى رب، كما جاء في قوله سبحانه «ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ»(التوبة: ٣١). وقول يوسف عليه السلام لصاحبه في السجن (ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ(يوسف:٤٢) وقوله (ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ) الآية .(يوسف:٥٠) فلما كان هذا الوصف محتملا لغيره بينه بقوله (ملك الناس)، ولما كان الملك قد يكون إلها وقد لا يكون بينه بقوله (إله الناس) فالإله خاص به سبحانه فجعله غاية للبيان وعلى هذا فقوله (ملك الناس، اله الناس) عطف بيان وعطف البيان للبيان فكان مظنة الإظهار دون الإضمار، انظر: الكشاف للزمخشري جـ: ٤ص: ٢٤٥، والبحر المحيط لابن حيان جـ: ٨ ص: ٥٣٢،٥٣١) وقال الرازي في تفسيره جـ: ٣٢ص: ١٩٨ (ولأن هذا التكرير يقتضي مزيد شرف الناس لأنه سبحانه كأنه عرف ذاته بكونه ربا للناس، ملكا للناس، إلهاً للناس، ولولا أن الناس اشرف مخلوقاته وإلا لما ختم كتابه بتعريف ذاته بكونه ربا وملكا وإلها لهم)أهـ.

(تنبيه: في تفسير الرازي وردت (أشر مخلوقاته) وهو خطأ مطبعي تصححه عبارة للرازي نفسه قبلها باسطر). وقال أبو السعود في تفسيره جـ:٩ ص:٢١٦ (وتكرير المضاف اليه لمزيد الكشف والتقرير والتشريف بالاضافة) والله أعلم.

(قلت): و يظهر لي والله أعلم أن المستعاذ به هو(رب الناس) وان (ملك الناس إله الناس) صفتان لرب الناس. كما قال أبو حيان: (والظاهر أن ملك الناس إله الناس صفتان) البحر المحيط جـ:٨ص:٥٣١، وقال ابن هشام (ومن الوهم قول الزمخشري في (ملك الناس إله الناس) إنهما عطفا بيان والصواب أنهما نعتان) مغني اللبيب: جـ: ٢ص: ٥٧٠.

ولم يعطف بالواو لما فيها من الإيذان بالمغايرة(١).

وقدم الربوبية لعمومها وشمولها لكل مربوب، وأخر الإلهية لخصوصها لأنه سبحانه إنما هو إله من عبده، ووحده، واتخذه إلها دون غيره(٢)، فمن لم يعبده ويوحده فليس بإلهه(٣) وان كان في الحقيقة لا إله له سواه ولكن المشرك ترك(٤) إلهه الحق واتخذ إلها غيره(٥).

---

(١) بل قال القزويني «إن العطف يقتضي المغايره بين المعطوف والمعطوف عليه الإيضاح: ص: ١٥٣ وقال الزركشي في البرهان جـ: ٤ص: ١١٣ «الأصل في العطف التغاير، وقد يعطف الشيء على نفسه في مقام التأكيد».
ولابن القيم رحمه الله تعالى تفصيل في عطف الصفات حيث قال «إن الصفات إذا ذكرت في مقام التعداد فتارة يتوسط بينها حرف العطف لتغايرها في نفسها، وللإيذان بأن المراد ذكر كل صفة بمفردها، وتارة لا يتوسطها العاطف لاتحاد موصوفها وتلازمها في نفسها، وللإيذان بأنها في تلازمها كالصفة الواحدة، وتارة يتوسط العاطف بين بعضها ويحذف مع بعض بحسب هذين المقامين، فإذا كان المقام تعدد الصفات من غير نظر إلى جمع أو انفراد حسن إسقاط حرف العطف، وان أريد الجمع بين الصفات أو التنبيه على تغايرها حسن ادخال حرف العطف» ثم ذكر أمثلة لذلك إلى أن قال: «وكلما كان التغاير أبين كان العطف أحسن» اهـ.
بدائع الفوائد جـ: ٣ص: ٥٢ـ٥٣، وانظر ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى (مجموع الفتاوى جـ٧ ص١٧٢).

(٢) في تفسير ابن القيم (واتخذه دون غيره إلها).

(٣) الأولى ان يقول: (فمن لم يعبده و يوحده فلم يتخذه إلها) لانه سبحانه إله الناس من عبده ومن لم يعبده لكن من لم يعبده لم يتخذه إلها وإن كان سبحانه إلهه لا إله له سواه.. كما يقول المؤلف بعد ذلك.

(٤) في المخطوطة (ولكن ترك) وزدت كلمة (المشرك) من تفسير ابن القيم.

(٥) كما قال تعالى عن قوم هود عليه السلام (قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا (هود: ٥٣).
وقولهم: (إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ) (هود: ٥٤).
وقول قوم إبراهيم عليه السلام (قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا) (الانبياء: ٥٩).
وقول المشركين (إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا) (الفرقان: ٤٢)، وغير ذلك كثير.

ووسط صفة الملك بين الربوبية والإلهية لأن الملك هو المتصرف بقوله وأمره، المطاع إذا أمر، فملكه[1] لهم تابع لخلقه اياهم، فملكهم[2] من كمال ربوبيته، وكونه إلههم الحق من كمال ملكه، فربوبيته تستلزم ملكه، وملكه يستلزم إلهيته، فهو الرب، الملك، الاله. خلقهم بالربوبية[3] وقهرهم بالملك[4] واستعبدهم بالإلهية[5][6].

فتأمل هذه الجلالة وهذه العظمة التي تضمنتها هذه الألفاظ الثلاثة على أبدع نظام وأحسن سياق[7] (رب الناس، ملك الناس، إله الناس).

وقد اشتملت هذه الإضافات الثلاث على جميع قواعد الإيمان[8] وتضمنت معنى جميع[9] أسمائه الحسنى[10].

---

(١) في تفسير ابن القيم (وملكه).

(٢) في تفسير ابن القيم (فملكه).

(٣) في تفسير ابن القيم (خلقهم بربوبيته).

(٤) في تفسير ابن القيم (وقهرهم بملكه).

(٥) في تفسير ابن القيم (واستعبدهم بالهيته).

(٦) وذكر ابو السعود ــ رحمه الله تعالى ــ وجها بديعا للاستعاذه في هذه السورة فقال: «فإن توسل في ضمن العائذ بربه وانتسابه إليه تعالى بالربوبية والمملوكية والعبودية في ضمن جنس (يقصد الناس) هو فرد من أفراده من دواعي مزيد الرحمة والرأفة وأمره تعالى بذلك من دلائل الوعد الكريم بالإعاذة لا محاله ولأن المستعاذ منه شر الشيطان المعروف بعداوتهم ففي التنصيص على انتظامهم في سلك عبوديته تعالى وملكوته رمز إلى إنجائهم من ملكة الشيطان وتسلطه عليهم حسبما ينطق به قوله تعالى « إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ» (الحجر:٤٢). ارشاد العقل السليم: أبي السعود جـ: ٩ص: ٢١٦.

(٧) ذكر الإيجي ــ رحمه الله تعالى ــ وجها آخر لهذا الترتيب والنظام فقال «هو من قبيل الترقي في صفات الكمال. فإن الملك اعلى من الرب. لأن كل ملك رب ومالك ولا ينعكس كليا، ثم الإله الذى هو اعلى وخاص لله جعله غاية للبيان». جامع البيان في تفسير القرآن للإيجي جـ: ٢ص:٤٤٥.

(٨) لاشتمالها على (الربوبية) و(الملك) و(الألوهية).

(٩) في تفسير ابن القيم (وتضمنت معاني).

(١٠) سيبين بعد ذلك وجه تضمن هذه الأسماء (الرب، الملك، الإله) للأسماء الحسنى.



أما تضمنها لمعاني أسمائه الحسنى(١).

فإن الرب هو:(٢) القادر، الخالق، البارىء، المصور، الحي، القيوم،

---

(١) في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة». رواه البخاري ومسلم (البخاري/كتاب التوحيد جـ: ٨ص: ١٦٩) (مسلم كتاب الذكر والدعاء جـ: ص٢٠٦٣ حديث ٢٦٧٧) ورواه الترمذي في جامعه كتاب الدعوات جـ: ٥ص: ٥٣٠، حديث ٣٥٠٧ وفيه زيادة سرد الأسماء وقال بعده هذا حديث غريب.. ولا نعلم في كثير من الروايات له اسناد صحيح ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث)أهـ.
وقال ابن كثير في تفسيره جـ:٢ص: ٢٨٨ـــ٢٨٩ «والذى عول عليه جماعة من الحفاظ ان سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه وانما ذلك.. أنهم جمعوها من القرآن.. ثم ليعلم أن الأسماء الحسنى غير منحصرة في تسعة وتسعين». وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى «إن التسعة والتسعين اسما لم يرد في تعيينها حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم» مجموع فتاوى ابن تيمية جـ: ٢٢ص: ٤٨٢ وقال عن زيادة سرد الأسماء الواردة في روايتى الترمذي وابن ماجة» وقد اتفق أهل المعرفة بالحديث على أن هاتين الروايتين ليستا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وإنما كل منهما من كلام بعض السلف» وقال «فإن الذى عليه جماهير المسلمين ان أسماء الله اكثر من تسعة وتسعين» وضرب رحمه الله تعالى مثلا بقول القائل: «إن لي مائة غلام أعددتهم للعتق وألف درهم اعددتها للحج» فالتقييد بالعدد هو في الموصوف بهذه الصفة لا في أصل استحقاقه لذلك العدد، فإنه لم يقل ان أسماء الله تسعة وتسعون» مجموع فتاوى ابن تيمية جـ: ٦ص: ٣٧٩ و٣٨١ وأنما اطلت في هذه المسألة لاعتقاد بعض الناس حصر الأسماء الحسنى في العدد المذكور.

(٢) هناك قواعد مهمة في أسماء الله الحسنى وصفاته العليا يحسن أن أشير إشارة موجزة لأهمها فمن ذلك:
أولا: أن أسماء الله تعالى كلها حسنى لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها.
ثانيا: أن ثبوت الاسم لله تعالى يستلزم ثبوت الصفة التى تضمنها فـ«السميع» يتضمن إثبات السمع لله تعالى و(الحي) يتضمن إثبات الحياة، وهكذا ولا يلزم من ثبوت الصفة لله تعالى ثبوت الاسم فمن صفاته سبحانه «المجيء» و«الأخذ» و«البطش» و«الإمساك» وغير ذلك ولا يلزم من ثبوتها أن نسميه بها فنعد من أسمائه «الجائي» و«الآخذ» و«الممسك» و«الباطش» وهذه قاعدة هامة.
ثالثا: أن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفيه لا مجال للعقل فيها فيجب الوقوف على ما جاء في الكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقصان.
رابعا: أن أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين كما أشرنا سابقا. ولمزيد من التفصيل أنظر كتاب «القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى للشيخ محمد بن صالح العثيمين».



العليم، السميع، البصير، المحسن(١)، المنعم، الجواد، المعطي، المانع(٢)، النافع، الضار، المقدم، المؤخر(٣)، يهدى و يضل، و يسعد، و يشقى، و يعز، و يذل، الى غيرذلك من المعاني الر بوبية.

وأما الملك: فهو الآمر، الناهي، المعز، المذل(٤) الذي يصرف أمور عباده كما يحب، و يقلبهم كما يشاء، فهو العزيز(٥)، الجبار، المتكبر الحافظ(٦)، الرافع، المعز، المذل، العظيم، الجليل، الوالي، المتعالي، الملك، المقسط، الجامع، إلى غيرذلك من الأسماء العائدة إلى الملك،

وأما الإله: فهو الجامع لصفات الكمال، ونعوت الجلال، فيدخل في هذا

---

(١) «المحسن» بناء على القواعد السابقة اختلف العلماء في عَدِّه من أسماء الله تعالى فقد اتفقوا على أنه لم يرد في الكتاب، أما في السنة فقد رواه الطبراني في الأوسط، وقال الهيثمي رجاله ثقات، وقد تردد الشيخ محمد ابن عثيمين في عَدِّه من الأسماء وعلل ذلك بقوله «لأننا لم نطلع على رواته في الطبراني وقد ذكره شيخ الإسلام من الاسماء» ص:١٦ القواعد المثلى.

(٢) اسم «المانع» سقط من المخطوطة وأثبته من تفسير ابن القيم لأن المؤلف ذكر ما يقابله وهو «المعطي».

(٣) المانع والنافع والضار والمقدم والمؤخر من الأسماء السبعة والعشرين التي استثناها ابن حجر ــ رحمه الله تعالى ــ في الفتح جـ: ١١ص: ٢١٨ــ٢١٩ من الأسماء التسعة والتسعين الواردة في الحديث وقال عنها: «لم تقع في القرآن بصيغة الاسم» ثم استبدل بها سبعة وعشرين اسما ليتم تسعة وتسعين اسما كلها من القرآن كما يقول رحمه الله تعالى.
«قلت» وعدم ورودها بالقرآن بصيغة الاسم لا يعني عدم كونها من أسماء الله تعالى فقد أورد الشيخ ابن عثيمين ثمانية عشر اسما لله تعالى ثبتت بالسنة ومنها المقدم والمؤخر وأشار إلى ورودهما في البخاري ومسلم. (القواعد المثلى ص:١٦).

(٤) لاحظ هناك أنه ذكر «يعز و يذل» من صفات الرب وعدها هنا من صفات الملك.

(٥) عند ابن القيم «وله من معنى الملك ما يستحقه من الأسماء الحسنى كالعزيز» الخ و يظهر أن الشيخ رحمه الله اختصر عبارة ابن القيم رحمه الله بحذف هذه الجملة فأدى إلى تكرار في اسمي «المعز، المذل».

(٦) في المخطوطة (الحافظ) وفي تفسير ابن القيم «الخافض» وهو الصحيح لأنه ذكر بعده «الرافع» ولعل ما في المخطوطة تصحيف.




الاسم جميع الأسماء الحسنى(١).

ولهذا(٢) كان القول الصحيح أن الله: أصله الإله(٣) وأن اسم الله تعالى هو: الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات

---

(١) بين ابن القيم رحمه الله تعالى في مدارج السالكين جـ: ١ص: ٣٢ـ٣٣ وجه دلالة اسم «الله» على جميع الأسماء الحسنى وتضمنه لصفات الكمال فقال (فاسم «الله» دال على جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا) ثم قال: «وصفات الالهية: هي صفات الكمال، المنزهة عن التشبيه والمثال، وعن العيوب والنقائص، ولهذا يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحسنى الى هذا الاسم العظيم كقوله تعالى « وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ » (الأعراف: ١٨٠) و يقال (الرحمن، والرحيم، والقدوس، والسلام، والعزيز والحكيم)، من أسماء الله، ولا يقال «الله» من أسماء «الرحمن» ولا من أسماء «العزيز» ونحو ذلك.

فعلم أن اسمه «الله» مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى، دال عليها بالإجمال والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلهية التي اشتق منها اسم «الله» واسم «الله» دال على كونه مألوها معبودا، تألهه الخلائق محبة وتعظيما، وخضوعا وفزعا إليه في الحوائج والنوائب وذلك مستلزم لكمال ر بوبيته ورحمته، المتضمن لكمال الملك والحمد، وإلهيته ور بوبيته ورحمانيته، وملكه، مستلزم لجميع صفات كماله إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحي، ولا سميع، ولا بصير، ولا قادر، ولا متكلم ولا فعال لما ير يد، ولا حكيم في أفعاله.

(٢) أي لكون الإله جامع لصفات الكمال ولكونه أصل لاسم الله فإن اسم الله جامع لمعاني الأسماء الحسنى.

(٣) هذا قول سيبو يه وجمهور أصحابه كما قال ابن القيم في تفسير المعوذتين ص:٩٦، ولم أجد هذا القول منسوبا لسيبو يه عند غيره، وللعلماء أقوال كثيرة في أصل لفظ الجلاله (الله) قال الفيروز آبادي (القاموس المحيط ص١٦٠٣) واختلف فيه على عشرين قولا.

(قلت): اختلف العلماء في لفظ الجلاله.

فقيل: إنه اسم جامد مرتجل لا يطلق إلا على المعبود بحق سبحانه، ورجحه الفيروز آبادي وقال ابن حبان في تفسيره (جـ:١ص:١٤) أنه عند الأكثرين وقال الرازي وهو قول الخليل وسيبو يه وقول أكثر الأصوليين والفقهاء تفسير الرازي جـ: ١ص:١٥٦.

وقيل إنه اسم مشتق واختلفوا في مادة الاشتقاق:

فقيل: من (ليه) من لاه يليه بمعنى ارتفع.

وقيل من (لوه) من لاه يلوه بمعنى احتجب واستتر.

وقيل من (أله) بمعنى فزع لأن الخلائق تفزع إليه عند الشدائد.

أو بمعنى تحير لأن الخلائق تأله في عظمته.

أو بمعنى عبد لانه المعبود.





العليا(١)، وأسرار كلام الله أجل وأعظم من أن تدركها عقول البشر، وإنما غاية أولى العلم الاستدلال بما يظهر(٢) منها على ما وراءه(٣).

وهذه السورة مشتملة على الاستعاذة من الشر(٤) الذي هو سبب الذنوب والمعاصي وهو الشر الداخل في الإنسان الذى هو منشأ العقوبات في الدنيا والآخرة.

فسورة الفلق تضمنت الاستعاذة من ظلم الغير بالسحر والحسد وهو شر من خارج(٥).

وسورة الناس تضمنت الاستعاذة من الشر الذى هو سبب ظلم العبد نفسه وهو شر من داخل(٦).

= أو بمعنى سكن لأن الخلائق تسكن إليه والقلوب لا تسكن إلا بذكره.
وقيل من (وله) واصله وَلِهَ يَوْلَه وَلَهاً والوله ذهاب العقل. قال القرطبي جـ: ١ص: ١٠٢ــ١٠٣، فالله تعالى تتحير الألباب وتذهب في حقائق صفاته والفكر في معرفته. انظر البحر المحيط جـ: ١ص:١٤ــ١٥ والقاموس المحيط ص: ١٦٠٣، ولسان العرب جـ: ١٣ص: ٤٦٩ والصحاح للجوهري جـ: ٦ ص: ٢٢٢٤).

(١) في تفسير ابن القيم (العلى).

(٢) في تفسير ابن القيم (بما ظهر).

(٣) أي الاستدلال بالمعاني الظاهرة على ما وراءها من الاستنباطات والنتائج واللوازم.

(٤) يعنى الوسواس.

(٥) في المخطوطة (وهو شر خارج) والصواب ما أثبته من تفسير ابن القيم.

(٦) الشر الذي يصيب الإنسان لا يخلو من:
أن يكون بفعله وقصده وسعيه فيعاقب عليه وهو شر معائب وإما أن يكون من فعل غيره لا دخل له فيه وقد يكون الفاعل مكلفا كالإنسي والجني وقد لا يكون مكلفا كالهوام والرياح والامطار والصواعق والزلازل وغيرها وهو شر مصائب، وقد تضمنت هاتان السورتان (الفلق والناس) الاستعاذة من هذه الشرور كلها. فتضمنت سورة الفلق الاستعاذة من شر المخلوقات كلها وشر الفاسق، والنفاثات، والحاسد وهي كلها شر خارج. =





فالشر الأول لا يدخل تحت التكليف، ولا يطلب منه الكف عنه، لأنه ليس من كسبه.

والشر الثاني الذي في سورة الناس يدخل تحت التكليف و يتعلق به النهي، فهذا شر المعائب، والأول شر المصائب، والشر كله يرجع إلى العيوب والمصائب ولا ثالث لهما.

فتضمنت سورة الناس الاستعاذة من شر العيوب كلها لأن[1] أصلها كلها الوسوسة[2].

وأصل الوسوسة[3] الحركة[4] أو الصوت الخفي الذي لا يحس[5] فيحترز منه.

= وتضمنت سورة الناس الاستعاذة من الوسوسه وهي شر من داخل «والوسواس إنما يؤذي العبد من داخل بواسطة مساكنته له، وقبوله منه، ولهذا يعاقب العبد على الشر الذى يؤذيه به الشيطان من الوساوس التي تقترن بها الأفعال، والعزم الجازم، لأن ذلك بسعيه وإرادته بخلاف شر الحاسد والساحر فإنه لا يعاقب عليه إذ لا يضاف إلى كسبه ولا إرادته. ولهذا افرد شر الشيطان في سورة وقرن بين شر الساحر والحاسد في سورة» تفسير المعوذتين لابن القيم ص: ٧٣.

(١) في تفسير ابن القيم (التى).

(٢) وتضمنت سورة الفلق الاستعاذة من شر المصائب كلها لأنها لا تخرج عن الأمور الأربعة المستعاذ منها في السورة.

(٣) كلمة (وسوس) كلمة من حرفين مكررين، نحو (زلزل) و(دكدك) و(قلقل) و(كبكب) و(رضرض) و(صرصر) و(مطمط) و(كفكف) وغير ذلك كثير وإنما تطلق هذه الكلمات على ما يتكرر وقوعه. وهو مطابق للقاعدة اللغوية في الحذو بالألفاظ حذو المعاني فيتكرر في اللفظ ما يتكرر مسماه وعلى هذا فالوسوسة صوت خفي متكرر. انظر تفسير المعوذتين لابن القيم ص٩٨.

(٤) لم أجد أحدا عرف الوسوسة بالحركة. وإنما عرفوها بحديث النفس، و بهمس الصائد والكلاب، وصوت الحلي، والصوت الخفي من ريح، والكلام الخفي باختلاط، انظر لسان العرب مادة (وسس) جـ: ٦ص: ٢٥٤ــ٢٥٥ والصحاح للجوهري مادة (وسوس) جـ: ٣ص: ٩٨٨ والقاموس المحيط مادة (الوس) ص: ٧٤٨ وتاج العروس مادة (الوس) جـ: ٤ص: ٣٦٨.

(٥) لم أجد أحدا من علماء اللغة وصفه بانه لا يحس ولم يظهر لي وصف الصوت بانه لا يحس فإذا كان لا يحس فكيف يكون صوتا. ولعله يريد صوتا لا يحسه غير الملقى إليه. كما سيأتي بعد.

فالوسواس(١) الإلقاء الخفي في النفس:

إما بصوت خفي لا يسمعه إلا من القى إليه.

وإما بغير صوت كما يوسوس الشيطان إلى العبد.

و(الوسواس الخناس). وصفان لموصوف محذوف(٢). وهو الشيطان(٣).

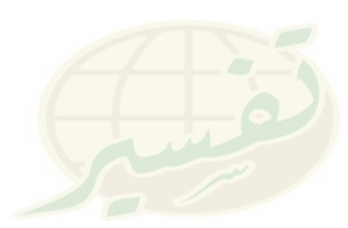
فالوسواس: الشيطان، لأنه كثير الوسوسه.

---

(١) الوسوسة في الاصطلاح هي دعوة الشيطان لطاعته بكلام خفي يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع صوت (انظر تفسير القرطبي جـ: ٢٠ص: ٢٦٣) وقال ابن العماد هي «إلقاء الشيطان الامر في القلب من غير صوت» إيقاظ الحواس الاهدل:ص: ٣٧.
وللإمام الغزالي رحمه الله تعالى كلام نفيس في بيان ذلك خلاصته إن أخص الأثار الحاصلة في القلب هي الخواطر وهي إدراكه علوما إما على سبيل التجدد وإما على سبيل التذكر فإنها تسمى خواطر من حيث انها تخطر بعد أن كان القلب غافلا عنها، والخواطر المحركة للرغبة تنقسم إلى ما يدعو إلى الشر، وإلى ما يدعو إلى الخير فهما خاطران مختلفان فالخاطر المحمود يسمى (إلهاما) والخاطر المذموم يسمى (وسواسا) وسبب الخاطر الداعي إلى الخير ملك وسبب الخاطر الداعي الى الشر شيطان واللطف الذي يتهيأ به القلب لقبول إلهام الخير يسمى توفيقا والذى يتهيأ به لقبول وساوس الشيطان يسمى إغواء وخذلانا فالقلب متجاذب بين الملك والشيطان كما جاء في الحديث (رواه الترمذي وقال حسن غريب جـ: ٥ص: ٤٧–٤٨).
إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ (الشيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء).
انظر إحياء علوم الدين للإمام الغزالي جـ: ٣ص: ٢٦–٢٧.

(٢) قال ابن هشام في شرحة لألفية بن مالك جـ: ٣ص: ٣١٨ (ويجوز بكثرة حذف المنعوت إن علم) وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية «وحَسّن حذف الموصوف ههنا غلبة الوصف حتى صار كالعلم عليه» تفسير المعوذتين: ابن القيم ص١٠٣.

(٣) يشمل شياطين الإنس والجن.



وأما (الخناس) فهو فعال من خنس يخنس. إذا توارى واختفى[1] فان العبد إذا غفل عن ذكر الله جثم على قلبه الشيطان[2] و بذر فيه الوساوس التي هي أصل الذنوب كلها. فإذا ذكر العبد ربه واستعاذ به انخنس[3].

والانخناس: تأخر ورجوع[4] معه اختفاء. قال قتادة[5]: الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب[6] في صدر الإنسان فإذا ذكر العبد ربه خنس[7].

---

(١) قال ابن منظور: (خنس الرجل إذا توارى وغاب) لسان العرب مادة خنس جـ: ٦ص: ٧١.

(٢) قال الله تعالى «وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ» (الزخرف: ٣٦).

(٣) قال تعالى: «وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا» (الإسراء: ٤٦). وقال سبحانه «إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ» (الأعراف: ٢٠١).

(٤) ولا رجوع ولا اختفاء الا بعد تقدم وظهور فالانخناس إختفاء بعد ظهور فهو يجمع أمرين الإختفاء والرجوع.

(٥) هو قتادة بن دعامه السدوسي تابعي من أئمة التفسير كان قوى الحافظة قال عنه بن المسيب ما أتاني عراقي أحسن من قتادة وقال عنه أحمد بن حنبل (قلما تجد من تقدمه اما المثل فلعل) «وقال ابوعمرو بن العلاء» حسبك قتادة ولولا كلامه في القدر ما عدلت به أحدا من أهل دهره(ت سنة ١١٧).
انظر وفيات الاعيان لابن خلكان جـ: ٤ص: ٨٥ـــ٨٦ وتهذيب التهذيب لابن حجر جـ: ٨ص: ٣٥١ـــ٣٥٦.

(٦) الخرطوم هو الأنف. انظر لسان العرب لابن منظور جـ: ١٢ص ١٧٣.

(٧) رواه القرطبي بلفظ (وقال قتاده: «الخناس» الشيطان له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الإنسان، فاذا غفل الإنسان وسوس له، وإذا ذكر العبد ربه خنس»أهـ. الجامع لاحكام القرآن، القرطبي جـ: ٢٠ ص: ٢٦٢، قال الإمام الغزالي: «فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام و بين الليل والنهار» إحياء علوم الدين: جـ: ٣ص: ٢٨.



و يقال(١): رأسه كرأس الحية، وهو واضع رأسه على ثمرة(٢) القلب يمنيه ويحدثه، فإذا ذكر الله خنس، وإذا لم يذكره عاد ووضع رأسه يوسوس إليه(٣).

وجيء بلفظ (الفعال) دون (الفاعل)(٤) إعلاما بشدة(٥) هروبه ورجوعه وعظم نفوره عند ذكر الله وأن ذلك دأبه. فذكر الله يقمع الشيطان و يؤلمه و يؤذيه(٦)، ولهذا كان شيطان المؤمن هزيلا(٧) لأنه

---

(١) قال الشبلي في كتابه (آكام المرجان): «قال أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان السجستاني.. حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا داود حدثنا فرج عن عروة ابن رو يم أن عيسى بن مريم دعا ربه أن يريه موضع الشيطان من ابن آدم قال فخلاله فإذا برأسه مثل الحيه واضع رأسه على ثمرة القلب فإذا ذكر الله خنس برأسه وإذا ترك الذكر مناه وحدثه» آكام المرجان في احكام الجان ص:١٦٣.

(٢) تطلق الثمرة و يراد بها طرف الشيء ومنه حديث ابن عباس رضي الله عنه «أنه أخذ بثمرة لسانه» أي بطرفه وحديث «فأتى بسوط لم تقع ثمرته أي طرفه الذى يكون في أسفله (انظر النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير جـ: ١ص: ٢٢١. وقال أهل التأليف في خلق الإنسان عن القلب..» وفيها السو يداء وهي علقة سوداء إذا شق القلب بدت كقطعة كبد وهي حبة القلب» التأليف في خلق الإنسان: د. وجيهه السطل ص:٢٩٧.

(٣) في الحديث عن انس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فإن ذكر الله خنس، وإن نسي التقم فذلك الوسواس الخناس» قال ابن كثير «غريب» تفسير ابن كثير جـ: ٤ص: ٦١١.
وأخرج البخاري في صحيحه جـ: ٦ص: ٩٦، عن ابن عباس أنه قال «الوسواس إذا ولد خنسه الشيطان فإذا ذُكِرَ الله عز وجل ذهب وإذا لم يُذكر الله ثبت على قلبه».

(٤) أي بلفظ (الخناس) دون الخانس..

(٥) لو قال (إعلاما بتكرار هروبه ورجوعه كلما ذكر الله ودأبه على ذلك) لكان أظهر كما سيأتي بيانه.

(٦) قال الله تعالى «ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ» (المجادلة ١٩). وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال.
قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا نودى للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط، حتى لا يسمع التأذين فإذا قضي النداء أقبل الحديث» رواه البخاري جـ: ١ص: ١٥١ ورواه مسلم جـ: ١ص: ٢٩١.

(٧) قال ابن مسعود رضي الله عنه (شيطان المؤمن مهزول) انظر إحياء علوم الدين: الغزالي جـ: ٣ص: ٣٢.

يعذبه بذكر الله وطاعته وفي أثر عن بعض السلف(١) أن المؤمن ينضي(٢) شيطانه كما ينضي الرجل بعيره في السفر، لأنه كلما اعترضه صب عليه سياط الذكر والتوجه والاستغفار والطاعة، فشيطانه معه في عذاب شديد.

وأما شيطان الفاجر فهو معه في راحة ودعة، ولهذا يكون قويا عاتيا شديدا(٣) فمن لم يعذب شيطانه في هذه الدار بذكر الله وتوحيده واستغفاره وطاعته عذبه شيطانه في الآخرة بعذاب النار، فلابد لكل أحد أن يُعذِب شيطانه أو يُعذبه شيطانه(٤).

---

(١) بل رواه ابو هريرة قال. قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن المؤمن لينضي شياطينه كما ينضي احدكم بعيره في السفر» رواه الامام احمد في مسنده: جـ: ١٧ص: ٧٥ بتحقيق احمد شاكر وقال «اسناده صحيح».

(٢) ينضي شيطانه يعنى يهز له والنضو الدابة التى أهزلتها الأسفار (النهاية في غريب الحديث: ابن الأثير جـ: ٥ص: ٧٢).

(٣) مما يناسب هذا المقام ما جاء في كتاب الاحياء «قال أبو هريرة: التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فإذا شيطان الكافر دهين سمين كاسي وشيطان المؤمن مهزول أشعث أغبر عار، فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن: مالك مهزول؟ قال: أنا مع رجل إذا أكل سمى الله فأظل جائعا وإذا شرب سمى الله فأظل عطشانا، وإذا لبس سمى الله فأظل عريانا، وإذا ادهن سمى الله فأظل شعثا فقال: لكنى مع رجل لا يفعل شيئا من ذلك فانا أشاركه في طعامه وشرابه ولباسه» إحياء علوم الدين: الغزالي جـ: ٣ص: ٣٧.

(قلت): فإذا أردت طرد الشيطان من قلبك فامنع عنه القوت وهو اتباع الهوى والشهوات ثم اقذفه بقذائف الذكر فإنه يفر منك.

و ينبغي أن يعلم أن الذكر المجرد قد لا ينفع في طرد الشيطان بل لابد من التقوى كما بين ذلك الغزالي حيث قال: «وتأمل أن منتهى ذكرك وعبادتك الصلاة فراقب قلبك إذا كنت في صلاتك كيف يجاذبه الشيطان إلى الاسواق وحساب العالمين.. وكيف يمر بك في أودية الدنيا ومهالكها حتى أنك لا تذكر إلا إذا صليت.. فالصلاة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا.. فإن أردت الخلاص من الشيطان فقدم الإحتماء بالتقوى ثم أردفه بدواء الذكر يفر الشيطان منك كما فر من عمر رضي الله عنه» انتهى بتصرف من إحياء علوم الدين جـ: ٣ص: ٣٨.

(٤) قال تعالى «إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير»(فاطر:٦). وقال تعالى مخبرا عن إبليس لعنه الله «لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ» (الأعراف:١٦) وقال تعالى «أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا»(مريم:٨٣). واخرج البخاري في صحيحه جـ: ٥ص: ٢٣٦، «قال ابن عيينة تؤزهم أزاً تزعجهم إلى المعاصي إزعاجا».



وتأمل كيف جاء بناء الوسواس[1] مكررا لتكريره[2] الوسوسه الواحدة مرارا حتى يعزم عليها العبد.

وجاء بناء الخناس على وزن (الفَعَّال) الذى يتكرر منه نوع الفعل، لأنه كلما ذكر الله انخنس فاذا غفل العبد عاوده[3] بالوسوسه، فجاء بناء اللفظين مطابقا لمعنييهما.

وقوله « ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ » صفة ثالثة للشيطان، فذكر وسوسته اولا، ثم ذكر محلها ثانيا، وانها في صدور الناس[4].

وقد جعل الله للشيطان دخولا في جوف العبد ونفوذا إلى قلبه وصدره فهو يجرى منه مجرى الدم[5]، وقد وكل بالعبد فلا يفارقه إلى الممات[6]

---

(١) أي مكررا من الواو والسين وانظر ما جاء هامش ص٢٨.

(٢) في المخطوطة (لتكره) وصححته من تفسير المعوذتين لابن القيم.

(٣) في المخطوطة (عاد) وأثبت ما في تفسير المعوذتين لابن القيم.

(٤) ذكر المصنف قبل أن «الوسواس والخناس وصفان لموصوف محذوف» ثم قال هنا عن هذه الآية «صفة ثالثة للشيطان» فتكون الصفات هي (الوسواس) (الخناس) (الذي يوسوس في صدور الناس)، و يظهر أن قوله (ثم ذكر محلها ثانيا) غير صحيح لأن الصفة الثانية هي (الخناس) وليس فيها ذكر للمحل وإنما هو وصف للصفة الثالثة وهي (في صدور الناس). ولعله لهذا السبب لم يذكر في المخطوطة كلمة (ثالثا) التى وردت في تفسير ابن القيم هكذا: (وانها في صدور الناس ثالثا) ص١٠٦ و يظهر لي أن العبارة غير صحيحة في المخطوطة وفي تفسير ابن القيم المطبوع والله أعلم.

(٥) وفي الصحيح «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» رواه البخاري جـ: ٨ص: ١١٤، ورواه مسلم جـ: ٤ص: ١٧١٢.

(٦) عقد الإمام الغزالي في كتابه «الاحياء» بابا في بيان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكلية عند الذكر أم لا؟ جـ: ٣ص: ٤٣، وذكر فيه خمسة أقوال للعلماء ثم قال «و بالجملة فالخلاص من الشيطان في لحظة أو ساعة غير بعيد ولكن الخلاص منه عمرا طو يلا بعيد جدا ومحال في الوجود فالدنيا باب عظيم لوسوسة الشيطان وليس له باب واحد بل أبواب كثيرة.

قال حكيم من الحكماء: «الشيطان يأتي ابن آدم من قبل المعاصي فإن امتنع أتاه من وجه =





ومن وسوسته: أنه يشغل القلب بحديثه حتى ينسيه ما يريد أن يفعله، ولهذا يضاف النسيان إليه(١) كما قال تعالى عن صاحب موسى «فإني نسيت الحوت وما(٢) أنسانيه إلا الشيطان»(٣).

وتأمل حكمة القرآن وجلالته كيف أوقع الاستعاذة من شر الشيطان الموصوف بأنه (الوسواس إلى آخر السورة) ولم يقل من شر وسوسته(٤) لتعم الاستعاذة جميع شره، فإن قوله (من شر الوسواس)(٥) يعم كل شره(٦)، ووصفه باعظم صفاته وأشدها شرا وهي الوسوسه التي هي مبادىء الارادة(٧) فإن القلب يكون فارغا من الشر فيوسوس إليه، ويخطر

= النصيحة حتى يلقيه في بدعة، فإن أبى أمره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام، فإن أبى شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرجه عن العلم، فإن أبى خفف عليه أعمال البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا فتميل قلوبهم إليه فيعجب بنفسه وبه يهلكه، وعند ذلك يشتد الحاحه فإنها آخر درجة ويعلم أنه لو جاوزها أفلت منه إلى الجنة»أهـ. إحياء علوم الدين: للغزالي جـ: ٣ص: ٤٥ باختصار.

(١) من باب إضافة الشيء إلى سببه كما قال ابن القيم في تفسيره ص: ١٠٧.

(٢) في المخطوطة خطأ في كتابة الآية فجاءت فيها اني نسيت الحوت واما انسانيه.

(٣) سورة الكهف من الآية: ٦٣.

(٤) أي تأمل كيف قال (من شر الوسواس) ولم يقل من شر وسوسة الشيطان.

(٥) في المخطوطة (الوسواس) وأثبت ما في تفسير ابن القيم.

(٦) وذلك أن الوسوسة بعض عمل الشيطان فلو استعاذ من شر وسوسته لكانت استعاذته من الوسوسة فحسب وإذا استعاذ من شر الوسواس كانت استعاذته من الوسوسة ومن سائر اعمال الشيطان وسيأتي ذكر بعض هذه الأعمال.

(٧) للوسوسة في النفس مراتب:
الأولى: الهاجس وهو ما يلقى فيها ولا يؤاخذ به.
الثانية: الخاطر: وهو ما يجرى فيها وهو مرفوع أيضا.
الثالثة: حديث النفس وهو تردده أن يفعل أو لا يفعل وهو مرفوع أيضا.
الرابعة: الهم وهو قصد الفعل وهو مرفوع أيضا.
الخامسة: العزم وهو قوة القصد والجزم به قالوا والمحكي عن المحققين الاخذ به لقوله صلى الله عليه وسلم «إنه كان حريصا على قتل صاحبه» متفق عليه. =





الذنب بباله، فيصوره لنفسه و يشهيه فيصير شهوة، و يزينها ويحسنها له، فتصير إرادة، ثم لا يزال يمثل(1) و يشهى و ينسي ضررها و يطوى عنه سوء عاقبتها فلا يرى إلا التذاذه بالمعصية فقط و ينسى ما وراء ذلك، فتصير الإرادة عزيمة جازمة(2) فيشتد الحرص من القلب، فلا يزال الشيطان بالعبد يقوده إلى الذنب(3) و ينظم شمل الإجتماع بالطف حيلة وأتم مكيدة. فأصل كل معصية و بلاء إنما هو الوسوسة.

ولهذا وصفه بها لتكون الاستعاذة من شرها أهم، وإلا فشره بغير الوسوسة حاصل أيضا.

فمن شره أنه لص سارق لأموال الناس(4) فكل طعام أو شراب لم يذكر اسم الله عليه فله فيه حظ بالسرقة والخطف، وكذلك يبيت في

= انظر إيقاظ الحواس في بعض أسرار سورة الناس: عبد الله الاهدل ص: ٤١.
وقال الغزالي «وهذا الهم قد يكون له مبدأ ضعيف ولكن إذا اصغى القلب إلى الخاطر الأول حتى طالت مجاذبته للنفس تأكد هذا الهم وصار إرادة مجزومة فإذا انجزمت الإرادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يغفل بعارض فلا يعمل به ولا يلتفت اليه وربما يعوقه عائق فيتعذر عليه العمل» إحياء علوم الدين: الغزالي: جـ: ٣ص: ٤١.

(١) في تفسير ابن القيم (يمثل له).
(٢) في المخطوطة (فتصير الإدارة جازمة) وأثبت ما في تفسير ابن القيم.
(٣) كما قال تعالى «أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا»(مريم: ٨٣). أي تزعجهم إلى المعاصي إزعاجا كما نقلنا انفا عن ابن عيينه (البخاري جـ: ٥ص: ٢٣٦).
(٤) كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأ رفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقص الحديث فقال: إذا أو يت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي. لن يزال معك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «صدقك وهو كذوب ذاك الشيطان» رواه البخاري جـ: ٨ص: ١٠٤، وانظر الحديث بتمامه جـ: ٣ص: ٦٣ـــ٦٤.




البيت الذى لم يذكر فيه اسم الله[1] فيأكل طعام الإنس بغير إذنهم، و يبيت في بيوتهم بغير أمرهم، و يدل على عوراتهم فيأمر العبد بالمعصية، ثم يلقي في قلوب أعدائه[2] يقظة ومناما أنه فعل كذا وكذا[3].

ومن هذا إن العبد يفعل الذنب لا يطلع عليه أحد من الناس[4] فيصبح والناس يتحدثون به، وما ذاك إلا أن الشيطان يجهد في كشف ستره وفضيحته[5] فيغتر العبد، و يقول: هذا ذنب لم يره إلا الله، ولم يشعر بأن عدوه ساع في إذاعته. وقل من يتفطن من الناس لهذه الدقيقة.

ومن شره أنه يعقد على رأس العبد إذا نام عقدة[6] تمنعه من اليقظة كما في صحيح البخاري[7]: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا

---

(١) و يدل على هذا حديث حذيفة رضي الله عنه وفيه: «.. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه» رواه مسلم جـ: ٢ص: ١٥٩٧، وحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله عند دخوله، وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء.

وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت وإذا لم يذكر الله عند طعامه، قال: أدركتم المبيت والعشاء» رواه مسلم جـ: ٣ص: ١٥٩٨.

(٢) في تفسير المعوذتين لابن القيم (في قلوب الناس).

(٣) قال الشعراني وهو يعدد دسايس الشيطان «ومن دسايسه أنه يأتي العبد بنور يكشف به معاصي العباد و يهتك به أستارهم و يظهر به عوراتهم فيظن ذلك المكاشف أنه على درجة عظيمة وإنما ذلك لأن الشيطان صار سمعه و بصره فيجب على ذلك المكاشف المبادرة إلى التوبة وإلا هلك» إيقاظ الحواس الأهدل:ص:٤٣.

(٤) في المخطوطة (لا يطلع عليه إلا الله أحدا من الناس) واثبت ما في تفسير ابن القيم.

(٥) وذلك أن الإنسان إذا انكشف أمر معصيته قد ييأس من استعادة سمعته الحسنة بين الناس فيتمادى و يصعب عليه الرجوع، بخلاف إذا سترت معصيته ولم يطلع عليها أحد من الناس فيبدو له باب التوبة قريبا وكأن شيئا لم يكن فتسهل عودته واستقامته.

(٦) كذا في المخطوطة والصواب (عقدا) كما يدل عليه الحديث.

(٧) وفي صحيح مسلم كما سيأتي.





هو نام ثلاث عقد..» الحديث(١).

ومن شره أنه يبول في أذن العبد حتى ينام إلى الصباح(٢).

ومن شره أنه قعد لابن آدم بطرق الخير كلها فما من طريق من طرق الخير إلا والشيطان مرصد عليه يمنعه أن يسلكه(٣)، فإن خالفه وسلكه ثبطه وعوقه. فإن عمله وفرغ منه سعى فيما يبطله(٤).

و يكفي من شره أنه أقسم ليأتينهم من بين أيديهم، ومن خلفهم، وعن ايمانهم، وعن شمائلهم.

فإذا كان هذا شأنه وهمته في الشر فلا خلاص منه إلا بمعونة الله وتأييده(٥) ولا يمكن حصر أجناس شره، فضلا عن آحادها، إذ كل شر في

---

(١) وبقية الحديث: «يضرب كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقده فإن توضأ انحلت عقده فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان» صحيح البخاري جـ: ٢ص٤٦ وصحيح مسلم جـ: ١ص: ٥٣٨.

(٢) كما روى البخاري ومسلم ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل نام ليلة حتى أصبح قال: «ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه، أو قال في أذنه» رواه البخاري جـ: ٢ص: ٤٧، ورواه مسلم جـ: ١ص: ٥٣٧، واللفظ له.

(٣) كما قال تعالى حكاية لقول إبليس لعنه الله «قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ» الأعراف: ١٦ــ١٧.

(٤) وبهذا يكون عمل الشيطان على ثلاث مراحل:
الاولى: أن يمنعه عن فعل الخير والعمل الصالح.
الثانية: إن عصاه وسلك طريق الخير لج به ليعوقه عن الاستمرار فيه والمداومة عليه.
الثالثة: إن لم يستطع سعى في جره إلى أمور تبطل ما فعله من خير من نحو المن في الصدقة «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ»(البقرة: ٢٦٤).

(٥) قال بعضهم «إن التدبير في دفع الشيطان الاستعاذه بالله سبحانه وتعالى لا غير فإن الشيطان كلب سلطه الله سبحانه عليك فإن اشتغلت بمحاربته ومعالجته تعبت وضاع عليك وقتك وربما يظفر بك فيعقرك أو يجرحك فالرجوع إلى رب الكلب ليصرفه عنك أولى» منهاج العابدين: للغزالي: ص٦٠.



العالم فهو السبب فيه، ولكن ينحصر شره في ستة[1] أجناس.

(الشر الأول) الكفر والشرك ومعاداة الله ورسوله:

فإذا ظفر بذلك من ابن آدم[2] استراح[3]. وهو أول ما يريد من العبد، فإن يئس منه من ذلك، وكان ممن سبق له الإسلام في بطن أمه[4] نقله إلى (المرتبة الثانية) من الشر وهي: البدعة.

وهي أحب إليه من الفسوق والمعاصي لأن ضررها متعد[5] وهو ذنب لا يتاب منه[6] وهي مخالفة لدعوة الرسل. ودعاء إلى خلاف ما جاءوا به فإذا نال منه البدعة وجعله من أهلها، صار نائبا له داعيا من دعاته، وإن عجز عن هذه المرتبة نقله إلى (المرتبة الثالثة) وهي الكبائر[7] على

---

(١) في المخطوطة (أربعة) ولكنه ذكر ستة كابن القيم في تفسيره.

(٢) في المخطوطة (بابن آدم) وأثبت ما في تفسير المعوذتين: لابن القيم.

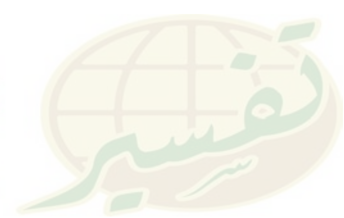
(٣) وذلك أن الشرك أعظم ذنب عُصي الله تعالى به «إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ» (النساء: ٤٨).

(٤) لعله يريد من ولدوا في ديار الإسلام ولم يعرفوا الشرك.

(٥) لقوله عليه الصلاة والسلام «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء. ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» صحيح مسلم جـ: ٢ص: ٧٠٥، وقال ابن القيم رحمه الله تعالى معللا ذلك «لأن ضررها في نفس الدين وهو ضرر متعد» ص: ١١٢، تفسير المعوذتين.

(٦) وذلك من وجهين:
الأول: لأن البدعة ـــ كما قال ابن القيم ـــ «ضررها في الدين وهو متعد» وعليه إثمها وإثم من عمل بها إلى يوم القيامة وتوبته عن عمله هو ببدعته لا عن البدعة نفسها لأنها خرجت من يده بعمل الناس بها وأخذهم بها وهذا عمل يبوء بإثمه، و يبقى تحت المشيئة.
الثاني: لأن صاحب البدعة يعتقد أن بدعته طاعة لله وليست بذنب تطلب التوبة منه فلا يزال ملتزما لها لا يتوب عنها وهذا ما يظهر لي من كونها لا يتاب منها والله اعلم.

(٧) اختلف العلماء في تعريف الكبيرة:
فقيل: ما اتفقت الشرائع على تحريمه.
وقيل: ما يترتب عليها حد، أو توعد عليها بالنار، أو اللعنة، أو الغضب وهذا أمثل الأقوال.
انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن ابي العز جـ: ٢ص: ٥٢٥.



اختلاف أنواعها. فهو أشد حرصا على أن يوقعه فيها، ولاسيما إن كان عالما متبوعا فهو حريص على ذلك لينفر الناس منه[1] ثم يشيع من ذنوبه[2] في الناس[3] و يستنيب منهم من يشيعها تقربا[4] ــ بزعمه ــ إلى الله ــ وهو نائب إبليس ولا يشعر فإن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم[5] هذا إذا أحبوا إشاعتها فكيف إذا تولوا هم إشاعتها، فإن عجز عن هذه المرتبة نقله إلى (المرتبة الرابعة)

---

(١) في تفسير المعوذتين لابن القيم (عنه).

(٢) وعند ابن القيم (ثم يشيع ذنوبه).

(٣) وقد ورد في الحديث مثال على إشاعة الشيطان لذنوب العلماء والرهبان ومن ذلك حديث «كان راهب في بني اسرائيل أراده الشيطان فاعياه فعمد الشيطان إلى جارية فخنقها وألقى في قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب فاتوا بها إليه فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فلما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقعها فحملت منه فوسوس إليه وقال: الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فإن سألوك فقل ماتت، فقتلها ودفنها فأتى الشيطان أهلها فوسوس إليهم وألقى في قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها ودفنها، فأتاه أهلها فسألوه عنها فقال ماتت فأخذوه ليقتلوه بها فأتاه الشيطان فقال أنا الذي خنقتها وأنا الذي ألقيت في قلوب أهلها فأطعني تنج وأخلصك منهم قال: بماذا؟ قال اسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين فقال له الشيطان إني بريء منك، فهو الذى قال الله تعالى فيه «كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ» (الحشر: ١٦).
قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار عن هذا الحديث «رواه ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان، وابن مردوية في تفسيره مرسلا» المغني عن حمل الأسفار ضمن الإحياء جـ: ٣ص: ٣٢، وروى الحاكم نحوه في مستدركه موقوفا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، المسيتدرك جـ: ٢ص: ٤٨٥.

(٤) وما أكثر الذين يخوضون في أعراض العلماء في مجالس العامة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

(٥) كما قال تعالى «إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (النور ١٩).

وهي الصغائر[1] التي إذ اجتمعت فربما أهلكت صاحبها، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم «إياكم ومحقرات الذنوب فإن مثل ذلك مثل قوم نزلوا بفلاة من الأرض» وذكر حديثا[2] معناه أن كل واحد منهم جاء بعود حطب حتى أوقدوا نارا عظيمة فطبخوا.

ولا يزال يسهل عليه أمر الصغائر حتى يستهين بها، فيكون صاحب الكبيرة الخائف[3] أحسن حالا منه، فإن أعجزه العبد من هذه المرتبة نقله الى: (المرتبة الخامسة) وهي: انشغاله بالمباحات التى لا ثواب فيها ولا عقاب بل عاقبتها فوات الثواب الذى ضاع عليه باشتغاله بها، فإن أعجزه العبد من هذه المرتبة، وكان حافظا لوقته شحيحاً به، يعلم أنه مقدار أنفاسه وانقطاعها وما يقابلها من النعيم والعذاب[4] نقله إلى:

---

(١) اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في تعريف الصغائر:
فقيل: كل ذنب لم يختم بلعنة أو غضب أو نار.
وقيل: الصغيره ما ليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة والمراد بالوعيد: الوعيد الخاص بالنار أو اللعنة أو الغضب وهذا هو المأثور عن السلف كابن عباس وابن عيينه وابن حنبل وغيرهم. انظر شرح الطحاوية جـ: ٢ص: ٥٢٥، ٥٢٦.

(٢) وهو حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إياكم ومحقرات الذنوب كقوم نزلوا في بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى انضجوا خبزتهم وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه» رواه الإمام أحمد في مسنده جـ: ٥ص: ٣٣١.

(٣) عند ابن القيم (الخائف منها).

(٤) وغفل كثير من الناس عن هذا المعنى وجهلت طائفة أن الوقت يجب أن يصرفه المؤمن كله في عبادة لا يصرف شيئا منه لغيرها وقد يستشكل بعض الناس ذلك و يزول اللبس إذا علموا أن نوم المؤمن عبادة وسهره عباده، وأكله عباده وصيامه عباده، وعمله عباده وراحته عباده، وحتى اتيانه اهله عباده، فلا عجب أن يكون وقت المؤمن كله وحياته كلها عبادة لله تعالى، ولهذا يسأل الإنسان عن عمره فيما افناه وعن شبابه فيما ابلاه كيف لا وقد اخبر الله سبحانه أنه ما خلقنا إلا لعبادته فقال عز شأنه «وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (الذاريات:٥٦).
(فإن قلت): فكيف يصرف المؤمن وقته في المباحات إذا كان كل أمره خير؟ (قلت) بنسيانه أو تركه نية العمل الصالح فبإخلاص النية تصبح العادات عبادات و بفساد النية تصبح العبادات عادات.

(المرتبة السادسة) وهي أن يشغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه ليفوته ثواب العمل الفاضل فيأمره بفعل الخير المفضول ويحضه عليه إذا تضمن ترك ما هو أفضل منه، وقل من يتنبه لهذا من الناس فإنه إذ رأى فيه داعيا قويا إلى نوع من الطاعة فإنه لا يكاد(١) يقول هذا الداعى من الشيطان فإن الشيطان لا يأمر بخير، و يرى أن هذا خير(٢) ولم يعلم أن الشيطان يأمره بسبعين بابا من أبواب الخير، إما ليتوصل بها إلى باب واحد من الشر، وإما ليفوت بها خيرا أعظم من تلك السبعين بابا، وأجل، وأفضل.

وهذا لا يتوصل إلى معرفته إلا بنور من الله يقذفه في قلب العبد يكون سببه تجريد متابعة الرسول، وشدة عنايته بمراتب الأعمال عند الله، وأحبها إليه، وأنفعها للعبد، وأعمها نصيحة لله، ولرسوله ولكتابه، ولعباده المؤمنين، خاصتهم وعامتهم، وأكثر الخلق محجوبون عن ذلك لا يخطر بقلوبهم(٣).

فإذا أعجزه العبد من هذه المراتب الست(٤) سلط عليه حزبه(٥) من

---

(١) أي يستبعد أن يكون هذا من وسوسة الشيطان لجهله أن الشيطان قد يأمر بخير لتفويت خير أعظم منه فضلاً.

(٢) في المخطوطة (خيرا) وصححته من تفسير المعوذتين لابن القيم.

(٣) في المخطوطة (محجوبون، ذلك لا يخطر بقلوبهم).

(٤) في المخطوطة (هذه المراتب) ولم يذكر عددها وأثبت ما في تفسير المعوذتين لابن القيم، وقد مر بنا في هامش سابق أن الشيخ حصرها بأربع مراتب ولكنه ذكر ستا.

(٥) بل قد يسلط عليه الشيطان من ليسوا من حزبه ممن فيهم صلاح فيدخل عليهم من باب الوسوسة بتبرئة الذمة فيقعون في أعراض المسلمين والعلماء و يشنعون عليهم أخطاءهم وهفواتهم، و يرون أن ذمتهم لا تبرأ حتى يعلنوا ذلك للناس، بل قد يقع ذلك من بعض علماء المسلمين فيدخل عليهم الشيطان من باب الحسد والغيرة، فينكرون على من فاقهم علما وصلاحا واستقامة وإن كانوا يعلمون صدقه، بل قد يكفرونهم و يلصقون بهم و بدعوتهم الأباطيل ومن أشهر الأمثلة على ذلك ما جرى على ابن تيمية رحمه الله تعالى من =

الانس والجن بأنواع الأذى، والتكفير، والتبديع، والتحذير منه ليشوش عليه قلبه، وليمنع الناس من الانتفاع به.

فحينئذ يلبس المؤمن لأمة(١) الحرب(٢) ولا يضعها عنه، إلى الموت ومتى وضعها أسر وأصيب(٣) فلا يزال في جهاد حتى يلقى الله.

فتأمل هذا الفصل وتدبره، واجعله ميزانك، تزن به نفسك، وتزن به الناس(٤) والله المستعان.

وتأمل السر في قوله تعالى: «يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ»ولم يقل قلوبهم، والصدر هو ساحة القلب، وهو بمنزلة الدهليز و بيته، فمنه تدخل(٥) الواردات إليه فتجتمع في الصدر ثم تلج في القلب، ومن القلب تخرج(٦) الأ وامر، والإرادات إلى الصدر، ثم تتفرق على الجنود(٧).

= بعض علماء عصره وما جرى للشيخ محمد بن عبد الوهاب من بعض علماء عصره وموقفهم من دعوته ومحار بتها وتشو يهها.

(١) اللأمة: الدرع. لسان العرب جـ: ١٢ص: ٥٣٢.

(٢) يشير إلى أن المؤمن ينبغي أن يكون على استعداد دائم لمحار بة الشيطان الذي لا يكل ولا يمل من الكيد للمؤمنين، ولا يظن المؤمن إنه إذا اغلق ابواب قلبه عن الشيطان فقد استراح وامن من كيده فهو ان عجز عن الكيد للمؤمن عن طريق الوسوسه إلى قلبه، ولج إلى قلوب غيره ووسوس إليهم بإيذائه والكيد له ومحار بته فينبغي على المؤمن أن يكون في جهاد دائم واستعداد لا ينقطع وحذر شديد من كيد الشيطان ومكره.

(٣) في تفسير المعوذتين لابن القيم (أسر أو أصيب).

(٤) في تفسير المعوذتين لابن القيم (تزن به الناس وتزن به الأعمال) وليس فيه تزن به نفسك.

(٥) في المخطوطة (يدخل).

(٦) في المخطوطة (يخرج).

(٧) وفي إيثار الصدور على القلوب نكتة أخرى وهي المبالغة في نعت الوسوسة أنها تملأ الصدور التي هي بيت القلب فيمتلىء بها القلب و يضيق بها الصدر حرجا، وفي الآية مجاز مرسل بإطلاق اسم المحل على الحال (انظر إيقاظ الحواس في بعض أسرار سورة الناس: عبد الله الاهدل: ص٢٣ـ٢٤).





ومن فهم هذا فهم قوله تعالى «وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم»(١) فالشيطان يدخل إلى ساحة القلب و بيته و يلقي ما يريد إلقاءه إلى القلب.

فهو موسوس(٢) في الصدر وسوسة(٣) واصلة إلى القلب(٤)، ولهذا قال تعالى «فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ»(٥) ولم يقل: فيه، لأن المعنى انه القى إليه ذلك واوصله إليه فدخل في قلبه(٦).

وقوله تعالى: «مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ»(٧).

اختلف الناس في هذا الجار والمجرور، و بم يتعلق(٨) فقال الفراء(٩) وجماعة: «هو بيان للناس الموسوس في صدورهم»(١٠) أي أن

---

(١) سورة آل عمران: الآية: ١٥٤.

(٢) في المخطوطة (فهوسوس) وهو خطأ فصححته.

(٣) عند ابن القيم في تفسير المعوذتين (و وسوسته).

(٤) قال الغزالي في تصوير وسوسة الشيطان في القلب «إعلم أن مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه و يستولى عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه» ثم بين الأ بواب التي يدخل منها الشيطان إلى القلب، الغضب والشهوة والحسد والحرص والشبع من الطعام والدراهم والدنانير والبخل وخشية الفقر والتعصب للمذاهب والأهواء وسوء الظن وشرح كلا منها شرحا وافيا (انظر إحياء علوم الدين للغزالي جـ: ٣ص: ٣٢—٣٧).

(٥) سورة طه: من الآية: ١٢٠.

(٦) فالوسوسة في الصدر ومنه إلى القلب.

(٧) في المخطوطة (من الناس) وهو سبق قلم.

(٨) عند ابن القيم في تفسيره (بم يتعلق).

(٩) هو أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ولد بالكوفة سنة ١٤٤، ونشأ بها وتربى على شيوخها، أشهر تلامذة الكسائي وأعلم الكوفيين بالنحو من بعده وكان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو توفي سنة ٢٠٧ (انظر نزهة الالباء: لأ بي البركات الأنباري ص ٨١—٨٤).

(١٠) وعبارة الفراء فالناس هاهنا قد وقعت على الجنة وعلى الناس كقولك: يوسوس في صدور الناس: جنتهم وناسهم ثم استشهد لذلك (انظر معاني القرآن: للفراء جـ: ٣ص: ٣٠٢.




الموسوس في صدورهم قسمان: إنس وجن، فالوسواس يوسوس للجني كما يوسوس للإنسي، وهذا القول ضعيف جدا لوجوه منها[1]:

أنه لم يقم دليل على أن الجني يوسوس في صدر الجني و يدخل فيه كما يدخل في الإنسي.

(والناس)[2] اسم لبني آدم، فلا يدخل الجن في مسماهم[3].

والصواب القول الثاني وهو: أن قوله (من الجنة والناس) بيان للذي يوسوس، وأنهم نوعان، إنس، وجن، فالجني يوسوس في صدر الإنسي، والإنسي يوسوس إلى الإنسي[4][5].

---

(١) ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في تفسيره هنا أربعة وجوه وتوسع في بيانها، ولم يذكر الشيخ هنا إلا وجهين.

(٢) هذا هو الوجه الثاني.

(٣) في هذه المسألة خلاف وممن يرى صحة تسمية الجن بالناس الإمام الطبرى رحمه الله تعالى في تفسيره حيث قال: «فإن قال قائل فالجن ناس..؟ قيل قد سماهم الله في هذا الموضع ناسا كما سماهم في موضع آخر رجالا فقال (وإنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن) فجعل الجن رجالا، وكذلك جعل منهم ناسا وقد ذكر عن بعض العرب أنه قال وهو يحدث إذا جاء قوم من الجن فوقفوا فقيل من أنتم؟ فقالوا: ناس من الجن. فجعل منهم ناسا فكذلك ما في التنزيل بعد ذلك» تفسير الطبري جـ: ٣٠ص: ٢٢٩.

(٤) عند ابن القيم (في صدور الانس).

(٥) هذان قولان من أقوال كثيرة للنحويين في قوله تعالى (من الجنة والناس) ذكر ابن عادل رحمه الله تعالى في تفسيره جملة منها سأعرضها بإيجاز شديد خشية الاطالة:

(أحدها) أنه بدل من شر بإعادة العامل أي من شر الجنة.

(الثاني) أنه بدل من ذي الوسواس لأن الموسوس من الجن والانس.

(الثالث) أنه حال من الضمير في يوسوس حال كونه من الجنسين.

(الرابع) أنه بدل من الناس وجعل (من) بيانيه وأطلق على الجن اسم الناس لأنهم متحركون في إرادتهم.

(الخامس) أنه بيان للذي يوسوس على أن الشيطان ضربان جني وإنسي.

(السادس) أنه يتعلق بيوسوس و(من) لابتداء الغاية اي يوسوس في صدورهم من جهة الجن والإنس.



فالموسوس نوعان: إنس، وجن.

فان الوسوسة هي: الإلقاء الخفي في القلب(1) وهذا مشترك بين الجن والإنس. وإن كان إلقاء الإنسي ووسوسته إنما هي بواسطة الأذن، والجني لا يحتاج إلى الواسطة لأنه يدخل في ابن ادم ويجري منه مجرى الدم(2) على أن الجنى قد يتمثل و يوسوس إليه في أذنه كالإنسي كما في البخاري(3) عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال: «إن الملائكة تحدث(4) في العنان ــ والعنان الغمام ــ بالأمر يكون في الأرض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرها(5) في أذن الكاهن، كما

= (السابع) أن والناس عطف على الوسواس أي من شر الوسواس.. والناس ولا يجوز عطفه على الجنة لأن الناس لا يوسوسون في صدور الناس إنما يوسوس الجن فلما استحال المعنى حمل على العطف على الوسواس.

(الثامن) أن (من الجنة) حال من الناس أي كائنين من القبيلين.أهـ. زاد الكرماني في غرائب التفسير وعجائب التأويل جـ: ٢ص:١٤١٦ قولين:

(التاسع) أن من الجنة والناس يجوز أن يكون متصلا بالناس الأولى (برب الناس).

(العاشر) أن (الذي) مبتدأ خبره (من الجنة والناس).

وزاد السفاقسي قولا هو القول:

(الحادي عشر) أن (من) تبعيضيه أي كائناً من الجنة والناس فهو في موضع الحال أي ذلك الموسوس بعض الجنة و بعض الناس.

(انظر ايقاظ الحواس في بعض اسرار سورة الناس ص: ٣٠ــ٣٢).

(١) ذكرت تعريف الوسوسة ص: ٣٢.

(٢) كما ورد في الحديث «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» صحيح البخاري جـ: ٨ص: ١١٤ وصحيح مسلم جـ: ٤ص: ١٧١٢.

(٣) رواه البخاري في صحيحه جـ: ٤ص: ٩٤ وليس فيه (من عند أنفسهم).

(٤) في المخطوطة (تحدر).

(٥) قال ابن الاثير: «القر: ترديد الكلام في أذن المخاطب حتى يفهمه».

وقر القارورة: صوتها إذا صب الماء فيها، النهاية في غريب الحديث جـ: ٤ص: ٣٩. وقال الزمخشري: «قررت الكلام في أذنه إذا وضعت فاك على أذنه فأسمعته كلامك». الفايق في غريب الحديث جـ: ٣ص: ١٧٨.




تقر(١) القارورة، فيزيدون معها مائة كذبه من عند أنفسهم»(٢)

فهذه(٣) وسوسة وإلقاء من الشيطان(٤) بواسطة الأذن، ونظير اشتراكهما(٥) في هذه الوسوسة(٦) اشتراكهما في الوحي الشيطاني، قال تعالى «وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا»(٧)(٨)(٩).

---

(١) في المخطوطة (فيقرها .. كما يقر).

(٢) و يوضح هذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه يقول: أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا قضى إليه الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم، قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعض فوق بعض ووصف سفيان بكفيه فَحَرَّفها وبدد بين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما ادرك الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة، فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا، كذا وكذا، فيُصَدَّقُ بتلك الكلمة التي سمعت من السماء» صحيح البخاري جـ:٦ص: ٢٨ـ٢٩.

(٣) في المخطوطة (فهذا).

(٤) يعني شيطان الجن.

(٥) أي شيطان الجن وشيطان الإنس.

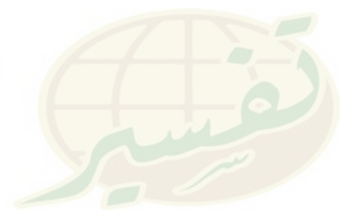
(٦) والمعنى أن شياطين الإنس والجن يشتركان في الوسوسة بواسطة الأذن و يزيد الشيطان بالوسوسة بدون واسطة الأذن، و يشتركان في أمور أخرى عد منها الوحي الشيطاني.

(٧) سورة الأنعام: الآية: ١١٢.

(٨) من قوله (وهذا القول ضعيف جدا لوجوه منها) إلى هنا رد من المؤلف على أصحاب القول الأول وهو أن (من الجنة والناس) بيان للموسوس في صدورهم، وترجيح للقول الثاني وهو انها بيان للذي يوسوس، وبنى ابن القيم رحمه الله تعالى على هذا الترجيح أن الاستعاذة على القول الأول إنما تكون من شر شياطين الجن فقط، وتكون على القول الثاني من شر شياطين الإنس والجن. انظر تفسير المعوذتين ص: ١٢٢.

(٩) ذكر العلماء فرقا لطيفا بين الاستعاذة في سورة الفلق والاستعاذة في سورة الناس وهو أنَّ المستعاذ به في سورة الفلق مذكور بصفة واحدة وهي (رب الفلق) والمستعاذ منه ثلاثة وهي (الغاسق) و(النفاثات) و(الحاسد).

وأما المستعاذ به في سورة الناس فمذكور بثلاث صفات وهي (رب الناس) (ملك الناس) =



ونختم الكلام على السورتين[1] في ذكر قاعدة نافعة فيما يعتصم به العبد من الشيطان ويحترز منه[2]، وذلك عشرة أسباب:[3].

(احدها) الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم[4].

قال تعالى: «وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ[5] إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ»[6] والمراد بالسميع ههنا سميع الاجابة لا السمع العام[7].

= (إله الناس) والمستعاذ منه شر واحد هو (الوسواس).

والفرق بين الموضعين أن الثناء يجب أن يتقدر بقدر المطلوب فالمطلوب في السورة الأولى (الفلق) سلامة النفس والبدن، والمطلوب في السورة الثانية سلامة الدين، وهذا تنبيه على أن مضرة الدين وإن قلّت أعظم من مضار الدنيا وإن عظمت. انظر التفسير الكبير للرازي جـ: ٣٢ص: ١٩٩.

(١) اي سورة (الفلق) وسورة (الناس) واصل هذا التفسير للسورتين، وقد قمت قبل ذلك بتحقيق تفسير سورة (الفلق) وحدها ونشرتها في مجلة البحوث الاسلامية العدد (٢٧) ثم طبعت بعد ذلك مستقلة.

(٢) للشيطان في قلب ابن آدم حالتان:

١ ــ حالة استقرار ٢ ــ حالة اجتياز وخطرات.

فإذا سد الإنسان منافذ الشيطان إلى القلب ومداخله التي أشرت إلى جملة منها قبل ذلك ومنها إتباع الشهوات، والغضب، والحسد، والحرص.. وغير ذلك وقطع عن الشيطان هذا القوت فلا استقرار له فيه و بقيت له حالة الاجتياز والخطرات.

ويمنعه من الاجتياز والخطرات ذكر الله تعالى فإذا ذكر الله خنس وإذا غفل وسوس، وذكر المؤلف هنا ما يمنع الحالتين بإذن الله تعالى.

(٣) الأسباب أكثر من ذلك بكثير، وإنما ذكر المؤلف رحمه الله تعالى هنا أهمها وأشهرها وقد ذكر الأستاذ وحيد عبد السلام في كتابه (وقاية الإنسان من الجن والشيطان) ستة وثلاثين حرزا.

(٤) لابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه إغاثة اللهفان جـ: ١ص: ١٠٩ــ١١١ مبحث نفيس في أسرار الاستعاذة والحكمة منها.

(٥) قال الغزالي، «إذا خطر في القلب ذكر شيء انعدم منه ما كان فيه من قبل .. ولا يعالج الشيء إلا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبرى عن الحول والقوة وهو معنى قولك: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» إحياء علوم الدين جـ: ٣ص: ٢٨.

(٦) سورة فصلت: الآية: ٣٦.

(٧) واستدل ابن القيم في موضع آخر لصحة هذا المعنى بقوله: «فهو مثل قوله» سمع الله لمن =

الحرز الثاني) قراءة هاتين السورتين(١).

فإن لهما تأثيرا عجيبا في الاستعاذة(٢) بالله من شره ودفعه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ما تعوذ المتعوذون بمثلهما(٣) وكان يتعوذ بهما كل ليلة عند النوم(٤) وأمر عقبة بن عامر أن يتعوذ بهما دبر كل صلاة(٥) وذكر صلى الله عليه وسلم أن من قرأهما مع سورة الإخلاص ثلاثا حين

= حمده» وقول الخليل صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ »(ابراهيم:٣٩) تفسير المعوذتين لابن القيم: ص: ٧٩.

وقال الامام الرازي في تفسيره جـ: ١٩ص: ١٣٩ (وقوله ــ يعني إبراهيم عليه السلام ــ «سميع الدعاء» من قولك سمع الملك كلام فلان إذا إعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده).

(١) أي سورتين (الفلق) و(الناس).

(٢) في المخطوطة (والاستعاذة).

(٣) لم اجده بهذا اللفظ وفي الحديث «عن ابن عابس الجهني رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: يابن عابس ألا أخبرك بافضل ما تعوذ به المتعوذون؟ قال: قلت: بلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قل أعوذ برب الناس وأعوذ برب الفلق هاتين السورتين» مسند الإمام أحمد جـ: ٤ص: ١٥٣، وسنن النسائي جـ: ٨ص: ٢٥٢.
وفي حديث آخر عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: قل قلت: وما أقول؟ قال: قل هو الله أحد قل أعوذ برب الفلق، قل أعوذ برب الناس، فقرأهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: لم يتعوذ الناس بمثلهن، أو لا يتعوذ الناس بمثلهن رواه النسائي جـ: ٨ ص: ٢٥١.

(٤) في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما (قل هو الله أحد) و(قل أعوذ برب الفلق) و(قل أعوذ برب الناس) ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات» صحيح البخاري جـ: ٦ص: ١٠٦.

(٥) ونص الحديث: عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اقرأ المعوذات دبر كل صلاة» سنن أبي داود حديث ١٥٢٣ جـ: ٢ص: ٨٦، وسنن النسائي جـ: ٣ص: ٦٨، والترمذي في جامعه جـ: ٥ص: ١٧١ وقال حسن غريب.




يمسى وثلاثا حين يصبح كفته من كل شيء(١).

(الحرز الثالث) قراءة آية الكرسي(٢).

(الحرز الرابع) قراءة سورة البقرة.

ففي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: **«إن البيت الذي تقرأ فيه البقرة لا يدخله الشيطان»**(٣).

(الحرز الخامس) خاتمة البقرة.

فقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: من قرأ الآيتين من أخر سورة البقرة في ليلة كفتاه(٤).

(الحرز السادس) أول سورة حم المؤمن. إلى قوله (إليه المصير)(٥).

---

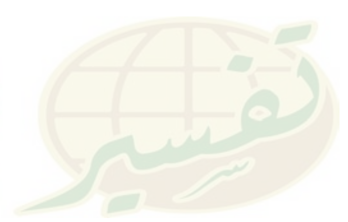
(١) ونص الحديث عن عبد الله بن خبيب رضي الله عنه قال «خرجنا في ليلة مطيرة وظلمة شديدة نطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي لنا. قال فأدركته، فقال: قل. فلم أقل شيئا، ثم قال قل فلم أقل شيئا، قال: قل قلت: ما أقول؟ قال: قل هو الله أحد، والمعوذتين حين تمسي وتصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء» رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه جـ: ٥ص: ٥٦٧ــ٥٦٨ وأبو داود جـ: ٤ص: ٣٢٢، والنسائي جـ: ٨ص: ٢٥٠.

(٢) أوردت الحديث ص٣٧ هامش (٤) وفيه أن الشيطان قال لأ بي هريرة رضي الله عنه «إذا أو يت إلى فراشك فاقرأ اية الكرسي، لن يزال معك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: صدقك وهو كذوب ذاك شيطان» صحيح البخاري جـ: ٨ص: ١٠٤.

(٣) رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح ولفظه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تجعلوا بيوتكم مقابر، وإن البيت الذي تقرأ فيه البقرة لا يدخله الشيطان». الجامع الصحيح: للترمذي جـ: ٥ص: ١٥٧، وقول المصنف رحمه الله تعالى (ففي الصحيح) إشارة إلى رواية مسلم ولفظه «لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة» صحيح مسلم جـ: ١ص: ٥٣٩.

(٤) رواه البخاري جـ: ٦ص: ١٠٤، ومسلم جـ: ١ص: ٥٥٥.

(٥) سورة غافر: الآية: ٣ والآيات من « حمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ».



ففي الترمذي من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي ليلى[1] عن زراره بن مصعب عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ حم المؤمن إلى قوله (إليه المصير) وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتى يمسى ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح، وعبد الرحمن المليكي وإن كان قد تكلم فيه من قبل حفظه فالحديث له شواهد في قراءة آية الكرسي، وهو محتمل على غرابته.

(الحرز السابع) لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة.

ففي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بافضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر من ذلك[2].

---

(١) كذا في المخطوطة وهو خطأ وفي تفسير ابن القيم ورد في الطبعات الأربع (عبد الرحمن بن أبي بكر عن ابي مليكة) وفي الطبعة الهندية بتحقيق عبد الصمد شرف الدين (عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكه) وقد علق المحقق فقال «وفي كلتى الطبعتين حديث عبد الرحمن بن أبي بكر عن ابن أبي مليكه وهو خطأ فاحش» ص٩٩ وما قاله هو الصواب فقد ورد الاسم كذلك في جامع الترمذي (عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكه المليكي) جـ: ٥ ص: ١٥٨ وكذا عند الدارمي جـ: ٢ص: ٤٤٩ ورد (عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي).
قال في تهذيب التهذيب جـ: ٦ص: ١٤٦ «عن ابن معين ضعيف وقال أبو حاتم ليس بقوى في الحديث وقال النسائي ليس بثقة.. وعن أحمد منكر الحديث وقال الساجي صدوق فيه ضعف يحتمل».
أما الحديث فقال الترمذي (هذا حديث غريب) وقال الألباني «ضعيف» انظر ضعيف الجامع الصغير جـ: ٥ص: ٢٣٥ حديث ٥٧٨١.

(٢) صحيح البخاري جـ: ٤ص: ٩٥، وصحيح مسلم جـ: ٤ص: ٢٠٧١ وزاد مسلم: «ومن قال: سبحان الله و بحمده، في يوم مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر».



فهذا حرز عظيم النفع، جليل الفائدة، يسير سهل على من يسره الله عليه(١).

(الحرز الثامن): وهو من أنفع الحروز من الشيطان: كثرة ذكر الله عز وجل وهذا بعينه هو الذي دلت عليه سورة الناس، فإن وصف الشيطان فيها بأنه الخناس والخناس إذا ذكر العبد ربه انخنس، فإذا غفل عن ذكر الله التقم القلب وألقي إليه الوساوس، فما أحرز العبد نفسه من الشيطان بمثل ذكر الله عز وجل(٢).

---

(١) بل هو والله من أيسر العبادات ولولا ماران على القلوب من وسوسة الشياطين وما عليها من دخان الشهوات وغيم النفوس ما فترت الألسن عن هذا الدعاء وأمثاله مع سهولة حفظه و يسر نطقه وعظيم أجره وجزيل ثوابه.

(٢) بل الذكر أول ما ينسيه الشيطان العبد إذا استحوذ عليه قال تعالى «ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ» (المجادلة:١٩) والشيطان يلازم من يَعْشُ عن ذكر الله قال تعالى «وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ» (الزخرف:٣٦)،
فالذكر والشيطان متضادان لا يجتمعان. وفي فضل الذكر وردت أحاديث كثيرة، فقد جاء إعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأنبئني بشيء أتشبث به فقال: لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله» رواه الحاكم في مستدركه جـ: ١ص: ٤٩٥ وصححه ووافقه الذهبي، وروى الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قال: وما رياض الجنة قال حلق الذكر، رواه الترمذي جـ: ٥ص: ٥٣٢.
ولو لم يكن في الذكر إلا أنه حرز من الشيطان لكان حقيقا بالعبد أن لا يفتر لسانه من ذكر الله تعالى كيف وقد وردت النصوص ليس بالذكر فحسب وإنما بالاكثار منه فقال تعالى «يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»
(الانفال: ٤٥). وقال سبحانه «يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا»(الاحزاب: ٤١)
وقال عز شأنه «وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ»(الاحزاب: ٣٥).
وقال عز وجل «فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَـٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا»
(البقرة: ٢٠٠) والنصوص كثيرة في الأمر بالإكثار من الذكر.
وقد وقع خلاف في التفضيل بين الذكر والجهاد ولابن القيم تفضيل دقيق حيث قال:
«وهذا الحديث هو فصل الخطاب في التفضيل بين الذاكر والمجاهد، فإن الذاكر المجاهد =



(الحرز التاسع) الوضـــوء[1]، والصـــلاة[2].

وهـذا من أعظم ما يتحرز العبد به[3] ولا سيما عند الغضب والشهوة فإنـهـا نار تصلى[4] في قلب ابن آدم، كما روى الترمذي عن النبي صلى

= أفـضل من الذاكر بلا جهاد والمجاهد الغافل، والذاكر بلا جهاد أفضل من المجاهد الغافل عند الله تعالى. فأفضل الذاكرين المجاهدون وأفضل المجاهدين الذاكرون» الوابل الصيب لابن القيم ص: ٤٩.

وليـس هـذا مقام الإطناب في فوائد الذكر وحسبنا قول ابن القيم رحمه الله تعالى أن للذكر أكـثـر من مائة فائدة ذكر منها رحمه الله تعالى تسعا وسبعين فائدة مع ذكر النصوص الواردة فيـهـا فمن أراد مزيد خير وفقه وفائده فليراجعها في الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم من ص٥٢.

(١) وفي الحـديث عن ابـن عـبـاس رضي الله عنـهـما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «طهـروا هـذه الأجساد طهركم الله فإنه ليس من عبد يبيت طاهرا إلا بات معه في شعاره مـلـك، ولا ينـقـلـب سـاعة من الليل إلا قال: «اللهم اغفر لعبدك فانه بات طاهرا» رواه الطبراني في الاوسط بإسناد جيد.

قـالـه المـنـذري في الـتـرغيب والترهيب جـ: ١ص: ٤٠٩، وفي المعجم الكبير جـ: ١٢ص: ٤٤٦ وروى الـبـزار نـحـوه عـن عـمـر انـظـر كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي جـ: ١ص: ١٤٩ــ١٥٠ قـال الهـيـثـمـي (كـذلك هو عند البزار وأرجو أنه حسن الإسناد) جـ: ١ص: ١٢٦، مجمع الزوائد.

(٢) وفي الحـديـث عـن أبـي الـدرداء رضي الله عنـه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يـقـول: «مـا من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان فعليك بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية» رواه ابو داود جـ: ١ص: ١٥٠.

(٣) وقـد ورد في الحـديث أن ذكر الله والوضوء والصلاة من أسباب حل عقد الشيطان فعن أبي هـريـرة رضي الله عـنـه ان رسـول الله صلى الله عـليه وسلم قال: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب كل عقدة عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فـذكـر الله انـحـلـت عقدة، فإن توضأ انحلت عقده، فإن صلى انحلت عقده، فاصبح نشيطا طـيـب الـنـفـس وإلا اصبح خبيث النفس كسلان» متفق عليه البخاري جـ: ٢ص: ٤٦ وصحيح مسلم جـ: ١ص: ٥٣٨.

(٤) عند ابن القيم (تغلي).

الله عليه وسلم أنه قال: «الا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم»([1]) فما أطفأ([2]) العبد جمرة الغضب بمثل الوضوء، والصلاة، فإن الصلاة إذا وقعت بخشوعها والإقبال على الله فيها أذهبت أثر ذلك جملة، وهذا أمر تجربته تغني عن إقامة الدليل.

(الحرز العاشر) إمساك فضول النظر، والكلام، والطعام، ومخالطة الناس([3]) فإن الشيطان إنما ينال غرضه من ابن آدم من هذه الأبواب الأربعة فإن فضول النظر: يدعو إلى الاستحسان، ووقوع المنظور([4]) إليه

---

(١) من حديث طويل وفيه «ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم أما رأيتم إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فمن أحس بشيء من ذلك فليلصق بالأرض الحديث» رواه الترمذي. وقال هذا حديث حسن صحيح جـ: ٤ص: ٤٨٣ــ٤٨٤ والإمام أحمد في مسنده جـ: ٣ص: ١٩.

(٢) في المخطوطة (طفى) والتصويب من تفسير المعوذتين لابن القيم.

(٣) وهذا الحرز من أهمها إن لم يكن أهمها إذ ان هذه الأمور الأربعة هي قوت الشيطان وحتى يتضح الأمر أضرب المثال، فالشيطان كالقط الجائع إذا جلست وبين يديك طعام فإنه يتسلط عليك يأتيك من يمينك وعن شمالك ومن خلفك ويدنو ويبتعد وانت في كل مرة تطرده، بل قد تضربه لكنه يعود ولا تزال معه في عراك، فإن لم يكن بين يديك طعام فإنَّ كلمة واحدة تكفي لطرده فالشيطان يتسلط على القلب إن وجد قوته فيها وقوته كما اشرنا (فضول النظر والكلام والطعام ومخالطة الناس) فان لم يجد القوت انصرف بمجرد الذكر، فلابد لطرد الشيطان من الجمع بين اخلاء القلب من قوت الشيطان والاكثار من الذكر وكما قال الغزالي: (فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر، فاما الشهوة إذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر إلى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان في سويداء القلب، واما قلوب المتقين الخاليه من الهوى والصفات المذمومة فإنه يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر، فإذا عاد إلى الذكر خنس الشيطان».
الإحياء جـ: ٣ص: ٣٧. وكما قال بعضهم في تشبيه سطو الشيطان على القلب «إنما مثل ذلك مثل البيت الذى يمر به اللصوص فإن كان فيه شيء عالجوه وإلا مضوا وتركوه» الإحياء جـ: ٣ص: ٢٨.

(٤) في المخطوطة (يدعو الى استحسان وقوع المنظور).





في القلب والاشتغال به، وفي المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «النظرة(١) سهم مسموم من سهام إبليس فمن غض بصره(٢) أورثه الله حلاوة يجدها في قلبه إلى يوم يلقاه» أو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم(٣).

وأما فضول الكلام(٤) فإنها تفتح للعبد أبوابا من الشر كلها مداخل

---

(١) في المخطوطة (النظر).

(٢) لغض البصر فوائد عديدة يطول شرحها ولابن القيم رحمه الله تعالى كلام نفيس في هذا المقام فقال: قال تعالى « قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ »(النور: ٣٠) فجعل الزكاة بعد غض البصر وحفظ الفرج. ولهذا كان غض البصر عن المحارم يوجب ثلاث فوائد، عظيمة الخطر، جليلة القدر:
(إحداها) حلاوة الإيمان ولذته.. فإن من ترك شيئا لله عوضه الله عز وجل خيرا منه.
(الفائدة الثانية) نور القلب وصحة الفراسة.. وسر هذا أن الجزاء من جنس العمل.. فكما أنه أمسك نور بصره عن المحرمات أطلق الله نور بصيرته وقلبه.. وقد ذكر الله سبحانه قصة قوم لوط وما ابتلوا به ثم قال بعد ذلك « إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ » (الحجر: ٧٥).
وهم المتفرسون الذين سلموا من النظر المحرم والفاحشة. وقال تعالى عقيب أمره للمؤمنين بغض أبصارهم وحفظ فروجهم « اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ »(النور:٣٥).
(الفائدة الثالثة) قوة القلب وثباته وشجاعته فيعطيه الله تعالى بقوته سلطان النصره كما أعطاه بنوره سلطان الحجة» أهـ بتصرف من اغاثة اللهفان لابن القيم جـ: ١ص: ٥٩ـ٦١.

(٣) الحديث الذي في المسند حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة أول مره ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها» جـ: ٣ص: ١٧٦.
وقال الألباني (ضعيف جدا) الأحاديث الضعيفة جـ: ٣ص: ١٧٦.
واما الحديث الذى استدل به المؤلف فهو في المعجم وليس في المسند. ولعله تصحيف من المؤلف أو الناسخ قال المنذري في الترغيب والترهيب جـ: ٣ص: ٣٤ «خرجه الطبراني والحاكم (جـ: ٤صـ: ٣١٤) من رواية عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي وهو واه» وقال الألباني ضعيف جدا الأحاديث الضعيفة جـ: ٥ص: ١٧٧.

(٤) أما هذا فلا ينتهي الحديث عن آفاقة وقد أولاه علماء التهذيب والأخلاق اهتمامهم وألف عدد منهم مؤلفات مستقلة في الصمت وحفظ اللسان، وفي آفات اللسان بحوث ورسائل عديدة.



للشيطان(١) فإمساك فضول الكلام يسد عنه تلك الأ بواب، وكم من حرب جرتها كلمة واحدة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم»(٢). وفي الترمذي: «أن رجلا من الأنصار توفي فقال بعض الصحابة: طوبى له، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فما يدريك فلعله تكلم بما لا يعنيه، أو بخل بما لا ينقصه»(٣)(٤).

وأكثر المعاصي إنما تولد من فضول الكلام والنظر(٥)، وهما أوسع مداخل الشيطان فإن جارحتيهما لا يملان ولا يسأمان بخلاف البطن.

---

(١) كالغيبة، والنميمة، والفحشاء، والمراء، والجدال، والخصومة، والغناء، والكذب، والسخرية، والاستهزاء، واللعن، والسب، والشتم وإفشاء السر، والنفاق.. وغير ذلك كثير من آفات اللسان التي تفتح ــ كما قال ــ أبوابا للشيطان.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده جـ: ٥ص: ٢٣١، والترمذي جـ: ٥ص: ١٢، وقال (هذا حديث حسن صحيح) ورواه الحاكم في المستدرك جـ: ٢ص: ٤١٣، (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي.

(٣) رواه الترمذي جـ: ٤ص: ٢٣١٦ وقال «هذا حديث غريب» ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت بلفظ آخر ص: ٧٣ــ٧٤.

(٤) وردت أحاديث كثيرة في الحث على حفظ اللسان منها:
حديث ابي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب» رواه البخاري جـ: ٧ص: ١٨٤ ومسلم جـ: ٤ص: ٢٢٩٠). وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت» رواه البخاري جـ: ٧ص: ١٨٤، ومسلم جـ: ٣ص: ١٣٥٣.

(٥) ولذا فحين سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس النار قال: «الأجوفان: الفم والفرج» مسند الامام احمد جـ: ٢ص: ٢٩١.
والترمذي جـ: ٤ص: ٣٦٣ وقال (هذا حديث صحيح غريب) ورواه الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي جـ: ٤ص: ٣٢٤.
ووعد من يحفظهما عن المحرمات بالجنة فقال صلى الله عليه وسلم «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة» رواه البخاري جـ:٧ ص: ١٨٤.





فإنه إذا امتلأ(١) لم يبق فيه إرادة للطعام، وأما العين واللسان فلو تركا لم يفترا.

وكان السلف يحذرون من فضول الكلام(٢) وكانوا يقولون ما من شيء أحوج إلى طول السجن من اللسان(٣)(٤).

وأما فضول الطعام(٥) فهو داع لأنواع كثيرة من الشر، فإنه يحرك الجوارح إلى المعاصي و يثقلها(٦) عن الطاعات وحسبك بهذين شراً فكم من معصية جلبها الشبع وفضول الطعام(٧)، ولهذا جاء في بعض الآثار

---

(١) في المخطوطة (امتلى).

(٢) في المخطوطة (من فضول النظر) وهو خطأ فهو يتحدث عن فضول الكلام.

(٣) و ينسب هذا القول لابن مسعود رضي الله عنه (انظر: تصفية القلوب: يحى بن حمزة اليماني ص١٠٠).

(٤) لكن ينبغي أن يعلم ان حفظ اللسان إنما هو من فضول الكلام وحفظ اللسان حق بين باطلين ذلك أن للسان آفتين عظيمتين هما:
١ ــ آفة الكلام ٢ ــ آفة السكوت.
إن سلم العبد من إحداهما لم يكد يسلم من الأخرى، وليست الثانية بأقل خطرا من الأولى فالساكت عن الحق شيطان أخرس، والمتكلم بالباطل شيطان ناطق، وكثير من الناس انحرف لسانه إلى أحد الباطلين أو لهما معا.
وأهل الحق كفوا ألسنتهم عن الباطل وأطلقوها في الخير والفضائل صمتهم تذكر ودعاء ومناجاة وكف عن الباطل، وكلامهم ذكر وأمر بمعروف ونهى عن منكر.
قال تعالى «لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ» (النساء: ١١٤) وقال صلى الله عليه وسلم «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفعه الله بها درجات وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالا يهوى بها في جهنم» رواه البخاري جـ: ٧ص: ١٨٥ (انظر آفات اللسان: إبراهيم المشوخي ص:١٥٩).

(٥) في المخطوطة (وأما فضول الكلام) وهو سبق لسان.

(٦) في المخطوطة (و يثقله) والصواب ما أثبته من ابن القيم.

(٧) ذكر الإمام الغزالي في منهاج العابدين ص١٠٣ وما بعدها عشر آفات لفضول الطعام الحلال، ثم قال فإن الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب وزينتها إلى تباب فهذه جملة =





«ضيقوا مجارى الشيطان بالصوم»(١)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: **«ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن»**(٢) ولو لم يكن في الامتلاء من الطعام إلا أنه يدعو إلى الغفلة عن ذكر الله، فإذا غفل القلب عن الذكر ساعة واحدة غلبه(٣) الشيطان وشهاه وهام به في كل واد، فإن النفس إذا شبعت تحركت وطافت على أبواب الشهوات وإذا جاعت سكنت وذلت(٤).

= العشرة وفي إحداها كفاية لمن نظر لنفسه، ص١٠٦ ولابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى بحث نفيس في هذا عند شرحه لحديث (ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطن) في كتابه (جامع العلوم والحكم) جـ: ص: ٣١٦ــ٣٢٨.

(١) هذا جزء من الحديث وتمامه «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والصوم» والحديث متفق عليه بدون هذه الزيادة أعني «فضيقوا .. الحديث» وقد ذكر الحديث ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه (حقيقة الصيام ص:٧٥) وعلق الالباني على هذه الزيادة بقوله: «لا أعلم لها أصلا في شيء من كتب السنة المطبوعة أو المخطوطة، وإنما ذكرها في الحديث الغزالي في موضعين من كتابه الإحياء (١/٢٠٨، ٣/٧٠) وأشار مخرجه العراقي إلى أنه لا أصل لها» حقيقة الصيام لابن تيمية خرج أحاديثها الألباني ص: ٧٥ــ٧٦.

(٢) ونص الحديث «ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث طعام وثلث شراب وثلث لنفسه» رواه الإمام أحمد في مسنده جـ: ٤ص: ١٣٢. والحاكم في مستدركه جـ: ٤ص: ٣٣١ــ٣٣٢ وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني (ارواء الغليل جـ: ٧ص: ٤١).

(٣) كذا في المخطوطة وعند ابن القيم (جثم عليه) ولعل (جثم) سقطت من المخطوطة وتصحفت (عليه) إلى (غلبه) والكلام في الموضعين مستقيم. والله اعلم.

(٤) عقد الإمام الغزالي في الإحياء جـ: ٣ص: ٨٠ مبحثا في فضيلة الجوع وذم الشبع وفي ص٨٤ عقد مبحثا آخر في بيان فوائد الجوع وآفات الشبع وذكر ان في الجوع عشر فوائد منها صفاء القلب وإيقاد القريحة وانفاذ البصيرة ومنها رقة القلب ومنها الانكسار والذل وزوال البطر ومنها ان لا ينسى بلاء الله وعذابه ومنها كسر شهوات المعاصي، ومنها صحة البدن ودفع الأمراض وغير ذلك، ثم قال (فهذه عشر فوائد للجوع يتشعب من كل فائدة فوائد لا ينحصر عددها ولا تتناهى فوائدها) الاحياء جـ: ٣ص:٨٨.

وأما فضول المخالطة فهو الداء العضال، الجالب لكل شر، وكم سلبت المخالطة والمعاشرة من نعمة، وكم زرعت من عداوة، وكم غرست في القلب من حزازة، ففضول المخالطة(١) خسارة في الدنيا والآخرة، وإنما ينبغي للعبد أن يأخذ من المخالطة بمقدار الحاجة(٢) ويجعل الناس فيها أربعة أقسام متى خلط أحد الأقسام بالآخر ولم يميز بينهما دخل عليه الشر(٣):

---

(١) في المخطوطة (ففضول المخالطة بمقدار الحاجة) وسقط منها ما أثبته من تفسير المعوذتين لابن القيم ولعل هذا السقط سبق نظر من الناسخ.

(٢) ذكر ابن القيم رحمه الله ضابطا لمخالطة الناس فقال: «والضابط النافع في أمر الخلطة أن يخالط الناس في الخير ــ كالجمعة والجماعة، والاعياد والحج، وتعلم العلم، والجهاد، والنصيحة، و يعتزلهم في الشر وفضول المباحات، فإن دعت الحاجة إلى خلطتهم في الشر ولم يمكنه اعتزالهم فالحذر الحذر أن يوافقهم وليصبر على أذاهم فإنهم لابد أن يؤذوه إن لم يكن له قوة ولا ناصر، ولكنه أذى يعقبه عز ومحبة له وتعظيم وثناء عليه منهم ومن المؤمنين ومن رب العالمين، وموافقتهم يعقبها ذل و بغض له ومقت وذم منهم ومن المؤمنين ومن رب العالمين فالصبر على أذاهم خير وأحسن عاقبة وأحمد مآلا.

وإن دعت الحاجة إلى خلطتهم في فضول المباحات فليجتهد أن يقلب ذلك المجلس طاعة لله، إن أمكنه و يشجع نفسه و يقوى قلبه، فإن أعجزته المقادير عن ذلك فَلْيَسُلَّ قلبه من بينهم كَسلِّ الشعرة من العجين..» انظر مدارج السالكين لابن القيم جـ: ١ص: ٤٥٥ــ٤٥٦.

(٣) قال ابن القيم رحمه الله تعالى «وكم جلبت خلطة الناس من نقمة ودفعت من نعمه وأنزلت من محنة، وعطلت من منحة، وأحلت من رزية، وأوقعت في بلية، وهل آفة الناس إلا الناس؟.. ثم بين رحمه الله تعالى أن الصداقة التى تكون على نوع مودة في الدنيا وقضاء وطر بعضهم من بعض تنقلب إذا حقت الحقائق إلى عداوة و يعض الخليل على يديه ندما كما قال تعالى «و يوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا، ياو يلتي ليتني لم اتخذ فلانا خليلا، لقد اضلني عن الذكر بعد إذ جاءني» (الفرقان: ٢٧ــ٢٩)، وقال تعالى «ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ» (الزخرف: ٦٧) مدارج السالكين: جـ: ١ص: ٤٥٥.





(احدها) من مخالطته كالغذاء، لا يستغنى عنه في اليوم والليلة، فإذا أخذ حاجته منه ترك الخلطة، ثم إذا احتاج إليه خالطه، هكذا على الدوام وهذا الضرب أعز من الكبريت الأحمر[1] وهم العلماء بالله وامره، ومكائد عدوه، وأمراض القلوب، وأدو يتها، الناصحون لله ولكتابه ولرسوله، ولخلقه، فهذا الضرب من مخالطتهم الربح كله.

(القسم الثاني) من مخالطتهم كالدواء، تحتاج إليه عند المرض[2] فمادمت صحيحا فلا حاجة[3] لك في خلطته، وهم من لا تستغني عن مخالطتهم في مصلحة المعاش، وقيام ما انت تحتاج إليه في أنواع المعاملات والمشاركات والاستشارة.

(القسم الثالث) من مخالطتهم كالداء، على اختلاف أنواعه، وقوته، وضعفه فمنهم من مخالطته كالداء العضال، وهو من لا تربح عليه في دين ولا دنيا ومع ذلك فلابد أن تخسر عليه الدين والدنيا، أو احدهما، فهذا اذا تمكنت مخالطته واتصلت، فهى مرض الموت المخوف.

ومنهم من مخالطته كوجع الضرس، فاذا فارقك سكن الألم.

ومنهم من مخالطته حمى الربع[4] وهو الثقيل البغيض الذي لا يحسن أن يتكلم فيفيدك ولا يحسن أن ينصت فيستفيد منك، ولا يعرف نفسه[5]

---

(١) قال الميداني في مجمع الامثال جـ: ٢ص: ٤٤، «وأما قولهم» أعز من الكبريت الأحمر «فيقال: هو الذهب الأحمر، و يقال بل هو لا يوجد إلا أن يذكر».

(٢) واستعمال الدواء عند الحاجة إليه ــ سلاح ذو حدين فكيف إن لم تكن إليه حاجة؟.

(٣) بل الضرر عليك في خلطته.

(٤) قال الثعالبي «الوباء: المرض العام. العِدادُ المرض الذى يأتي لوقت معلوم مثل حمى الربع» فقه اللغة ص: ١٢٤.

(٥) في المخطوطة (منزلته).




فيضعها في منزلتها(1). بل إن تكلم، فكلامه كالعصي تنزل على قلوب السامعين، مع اعجابه بكلامه، وإن سكت فاثقل من نصف الرحى العظيمة التى لا يطاق حملها.

و يذكر عن الشافعي(2) رحمه الله أنه قال: «ما جلس إلى جنبي ثقيل إلا وجدت الجانب الذى هو فيه أثقل من الجانب الآخر»(3).

ورأيت يوما عند شيخنا(4) قدس الله روحه رجلا من هذا الضرب والشيخ يحمله وقد ضعفت القوى عن حمله، فالتفت إلي وقال: مجالسة الثقيل حمى الربع. ثم قال: ولكن أدمنت أرواحنا على الحمل فصارت لها عادة، أو كما قال. و بالجملة فمخالطة كل مخالف حمى الربع، ومن نكد الدنيا على العبد أن يبتلى بواحد من هذا الضرب، وليس له بد من معاشرته

---

(1) قسم الخليل بن أحمد أحوال الناس فيما علموه أو جهلوه أربعة اقسام فقال؛ «الرجال أربعة: رجل يدري و يدري أنه يدري فذلك عالم فأسألوه، ورجل يدري ولا يدري أنه يدرى فذلك ناس فذكروه، ورجل لا يدري و يدري أنه لا يدري فذلك مسترشد فارشدوه، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذلك جاهل فارفضوه»أهـ. ادب الدنيا والدين: الماوردي ص: ٨٤.

(2) هو محمد بن إدريس الشافعي أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة وإليه نسبة الشافعية ولد سنة ١٥٠ وتوفي سنة ٢٠٤ من شيوخه سفيان بن عيينه ومالك بن أنس ومن تلاميذه أحمد بن حنبل وأبي ثور والأزرقي والماجشون والأصمعي وابن هشام وعلى المديني وأبوعبيد القاسم بن سلام والقاضي يحيى بن أكثم، والشافعي رحمه الله تعالى أشهر من أن يعرف.

(3) ومن حكم الشافعي ـــ رحمه الله تعالى ـ في مخالطة الناس «الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط» صفة الصفوة : ابن الجوزي جـ: ٢ص: ٢٥٣. ومنها «لا خير في صحبة من تحتاج إلى مداراته» طبقات الشافعية الكبرى السبكي جـ: ٢ص: ١٣٦.

(4) المراد به ابن تيمية رحمه الله تعالى شيخ ابن القيم مؤلف أصل التفسير.




ومخالطته(١) فليعاشره بالمعروف حتى يجعل الله له فرجا ومخرجا.

(القسم الرابع) من مخالطته هلكة، ومخالطته بمنزلة أكل السم، فإن اتفق لآكله ترياق وإلا فأحسن الله فيه العزاء، وما أكثر هذا الضرب في الناس لاكثرهم الله، وهم أهل البدع والضلالة، الصادون عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الداعون إلى خلافها فيجعلون البدعة سنة، والسنة بدعة.

إن جردت التوحيد قالوا: تنقصت الأولياء والصالحين، وإن جردت المتابعة للرسول قالوا: أهدرت الأئمة المتبوعين، وإن وصفت الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير غلو ولا تقصير قالوا: أنت من المشبهين، وإن أمرت بما أمر الله به ورسوله من المعروف ونهيت عن المنكر قالوا: أنت من المفتنين، وإن اتبعت السنة وتركت ما خالفها قالوا: أنت من الملبسين(٢) وإن تركت ما أنت عليه واتبعت أهواءهم فأنت عند الله من الخاسرين وعندهم من المنافقين(٣).

---

(١) إشارة إلى قول المتنبي:

ومن نكد الدنيا على المرء أن يرى عدواً له ما من صداقته بد

(٢) عند ابن القيم «وإن اتبعت السنة وتركت ما خالفها قالوا: أنت من أهل البدع المضلين، وإن انقطعت الى الله تعالى وخليت بينهم و بين جيفتهم الدنيا قالوا: أنت من الملبسين».

(٣) وهذا ما يلاقيه الدعاة والمصلحون في كل مكان وكل زمان الذين طالما اشتكوا من أهل زمانهم وليست شكوى الوهن واليأس ولكنها شكوى النصيحة والتعليم لمن بعدهم بان هذا شأن الناس مع المصلحين والمجددين وهذا الإمام الشاطبي يشتكى من أهل زمانه فيقول بعد أن يعد ما اتهم به و يدفع كل تهمة: «فكنت على حالة تشبه حالة الإمام الشهير عبد الرحمن بن بطة الحافظ مع أهل زمانه إذ حكى عن نفسه فقال: «عجبت من حالي في سفري وحضري مع الأقربين والأبعدين والعارفين والمنكرين.. إلى أن قال: فإن كنت صدقته فيما يقول وأجزت له ذلك ـ كما يفعله أهل هذا الزمان ـ سماني موافقا، =



فالحزم كل الحزم التماس مرضاة الله ورسوله باغضابهم وأن لا تبالي بذمهم ولا بغضهم فإنه عين كمالك. كما قال:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص … فهي الشهادة لي بأني فاضل(١)

وقال آخر(٢):

لقد زادني حبا لنفسي أنني(٣) … بغيض إلى كل امرىء، غير طائل(٤)

فمن كان(٥) بواب قلبه وحارسه من هذه المداخل الأربعة التي هي اصل بلاء العالم وهي فضول النظر، والكلام، والطعام، والمخالطة،

= وإن وقفت في حرف من قوله أو في شيء من فعله سماني مخالفا، وإن ذكرت في واحد منها أن الكتاب والسنه بخلاف ذلك وارد سماني خارجيا. وإن قرأت عليه حديثا في التوحيد سماني مشبها، وإن كان في الرؤية سماني سالميا، وإن كان في الايمان سماني مرجئيا، وإن كان في الأعمال سماني قدريا، وإن كان في المعرفة سماني كراميا، وإن كان في فضائل أبي بكر وعمر سماني ناصبيا، وإن كان في فضائل أهل البيت سماني رافضيا، وإن سكت عن تفسير آية أو حديث فلم اجب فيهما إلا بهما سماني ظاهريا وإن اجبت بغيرهما سماني باطنيا وإن اجبت بتأويل سماني أشعريا، وإن جحدتهما سماني معتزليا.. إلى أن قال.. ومهما وافقت بعضهم عاداني غيره، وإن داهنت جماعتهم اسخطت الله تبارك وتعالى ولن يغنوا عني من الله شيئا، وإني مستمسك بالكتاب والسنة، واستغفر الله الذي لا إله إلا هو الغفور الرحيم» الاعتصام: جـ: ١ص: ٢٨ـ٢٩ (قلت) فما أبلغها من شكوى وما أبلغه من درس.

(١) هذا البيت للمتنبي من قصيدة يمدح فيها القاضي أبا الفضل احمد بن عبد الله الأنطاكي. انظر شرح ديوان المتنبي للبرقوقي جـ: ٣ص: ٣٧٦ وورد فيه السطر الثاني من البيت هكذا: (فهي الشهادة لي بأني كامل).

(٢) سقطت من المخطوطة.

(٣) في المخطوطة (وقد) وكذا عند ابن القيم ــ في المخطوطة (باني).

(٤) هذا البيت للطرماح بن حكيم. انظر الشعر والشعراء لابن قتيبه ص ٣٩٠.

(٥) عند ابن القيم (فمن أيقظ بواب قلبه).





واستعمل ما ذكرناه من الأسباب التسعة(١) التى يتحرز بها من الشيطان فقد أخذ بنصيبه من التوفيق وسد على نفسه باب جهنم وفتح عليها باب الرحمة و يوشك أن يحمد عند الممات عاقبة هذا الدواء، فعند الممات يحمد العبد التقى(٢) و(عند الصباح يحمد القوم السرى)(٣).

والله الموفق لا رب غيره ولا إله سواه.

آخر الكلام على السورتين(٤) والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وسلم.

---

(١) أي التي قبل هذا الحرز، فالمجموع عشرة.

(٢) أحسبه مثلا لكنى لم أجده في كتب الأمثال.

(٣) هذا شطر بيت لخالد بن الوليد رضي الله عنه وهو:

عند الصباح يحمد القوم السرى ... وتنجلي عنهم غيابات الكرى

وهو من أبيات لخالد قالهن حين أمره أبو بكر رضي الله عنه وهو باليمامه أن يسير إلى العراق، فسلك المفازة وجدّ في السير فقطعها في أربع ليال والمثل يضرب لمن يحتمل المشقة رجاء الراحة (مجمع الامثال: الميداني جـ: ٢ص: ٣).

(٤) ذكر العلماء رحمهم الله تعالى نكتة لطيفة في ختم القرآن الكريم بسورة الناس و بيانها: «أن القرآن مادة الهدى والعلم والخير في القلب، كما أن الماء مادة النبات، والشيطان نار يحرق النبات أولاً فاولا، فكلما أحس بنبات الخير من القلب سعى في إفساده وإحراقه فأمر أن يستعيذ بالله عز وجل منه لئلا يفسد عليه ما يحصل له بالقرآن

.. وكأن من قال أن الاستعاذة بعد القراءة لاحظ هذا المعنى وهو لعمر الله ملحظ جيد، إلا أن السنة وآثار الصحابة إنما جاءت بالاستعاذة قبل الشروع في القراءة وهو قول جمهور الأمة من السلف والخلف وهو محصل للأمرين». اغاثة اللهفان لابن القيم جـ: ١ص: ١١٠.

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الريـاض ١٤١١/١/١٤هـ




المراجـع:

١ ـ آفـات اللـسـان، إبـراهـيـم المـشـوخـي، الـطـبـعـة الـثـالـثـة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، مكتبة المنار، الأ ردن.

٢ ـ آكام المرجان في أحكام الجان، لأ بي عبد الله عمر بن عبد الله الشبلي، دار الباز ـ مكة المكرمة.

٣ ـ إحياء علوم الدين، لأ بي حامد الغزالي، دار الندوة الجديدة، بيروت.

٤ ـ أدب الدنيا والدين، لأ بي الحسن علي بن محمد الماوردي، تحقيق وتعليق/ مصطفى السقا، دار الباز، مكة المكرمة، الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ.

٥ ـ الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، د. صالح بن فوزان الفوزان، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية الطبعة الأ ولى(١٤١٠هـ).

٦ ـ تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، ابي السعود محمد بن محمد العمادي، دار المصحف، القاهرة.

٧ ـ ارواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة الأ ولى، ١٣٩٩هـ.

٨ ـ الاعتصام، أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي، دار المعرفة، بيروت.

٩ ـ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم، تحقيق/ محمد سيد كيلاني، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه بمصر(١٣٨١هـ).



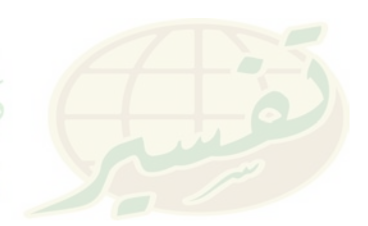


١٠ــ الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
١١ ــ إيقاظ الحواس في بعض أسرار سورة الناس، السيد عبد الله بن عبد الباري الأهدل، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة.
١٢ــ البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي، دار الفكر ــ الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
١٣ــ بدائع الفوائد، ابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت، مصورة عن طبعة ادارة الطباعة المنيرية.
١٤ــ بضع رسائل في التوحيد والإيمان، الشيخ الامام/ محمد بن عبد الوهاب، دار نشر الكتب الإسلامية، لاهور، باكستان.
١٥ــ تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
١٦ــ التأليف في خلق الإنسان، د. وجيهه السطل، دار الحكمة، دمشق.
١٧ــ الترغيب والترهيب، عبد العظيم بن عبد القوى المنذري، ضبط وتعليق مصطفى عمارة، الناشر مصطفى الحلبى ــ مصر، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨هـ.
١٨ــ تصفية القلوب من درن الأوزار والذنوب، يحيى بن حمزة اليماني الذماري المكتبة السلفية ومطبعتها، مصر.
١٩ــ تفسير الفاتحة، شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، تحقيق فهد بن عبد الرحمن الرومي، مكتبة الحرمين، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ.





٢٠ـ تفسير سورة الفلق، شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، تحقيق وتعليق فهد بن عبد الرحمن الرومي، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
٢١ـ التفسير الكبير، الفخر الرازي، الطبعة الثالثة، دار احياء التراث العربي، بيروت.
٢٢ـ تفسير ابن كثير، مكتبة النهضة الحديثة، بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ.
٢٣ـ تفسير المعوذتين لابن القيم، تحقيق وتعليق مصطفى بن العدوي، مكتبة الصديق، الطائف، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
٢٤ـ تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت مصوره عن الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند ١٣٢٥هـ.
٢٥ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق وتعليق وتخريج محمود وأحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، وايضا طبعة المطبعة الاميرية ببولاق، الطبعة الأولى ١٣٢٩ (مصورة دار المعرفة ـ بيروت).
٢٦ـ جامع البيان في تفسير القرآن، السيد معين الدين محمد بن عبد الرحمن الحسني الأيجي، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ.
٢٧ـ الجامع الصحيح، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٨ـ جامع العلوم والحكم، لأبي الفرج عبد الرحمن ابن رجب: الناشر: المؤسسة السعيدية بالرياض.



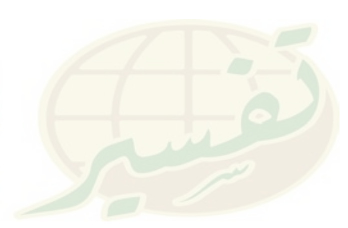
٢٩ـ الجامع لأحكام القرآن، ابي عبد الله محمد القرطبي، أعاد طبعه دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٧م.
٣٠ـ رسالة في حقيقة الصيام، ابن تيمية، خرج احاديثها محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ـ دمشق.
٣١ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة، محمد ناصر الدين الألباني، طبعة المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ، وطبعة مكتبة المعارف ـ الرياض الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ (الثالث والرابع).
٣٢ـ سنن الدارمي، دار الفكر ـ القاهرة، ١٣٩٨هـ.
٣٣ـ سنن أبي داود، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، دار احياء السنة النبوية.
٣٤ـ سنن المصطفى، ابن ماجه، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت.
٣٥ـ سنن النسائي، مع شرح الحافظ جلال الدين السيوطي، وحاشية الامام السندي، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.
٣٦ـ شرح ديوان المتنبي، وضعه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي بيروت.
٣٧ـ شرح العقيدة الطحاوية، علي بن علي بن محمد بن أبي العز، تحقيق د. عبد الله التركي، شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
٣٨ـ أوضح المسالك إلى ألفيه ابن مالك. أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر، الطبعة الخامسة، ١٣٨٦هـ.
٣٩ـ الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق د.



مفيد قمحيه، ونعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.
٤٠ـ الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ، على نفقة السيد حسن عباس الشربتلي.
٤١ـ صحيح البخاري، المكتبة الإسلامية ـ استانبول ـ تركيا ـ ١٩٧٩م.
٤٢ـ صحيح مسلم، تحقيق وتصحيح وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، رئاسة ادارات البحوث العلمية ـ الرياض ١٤٠٠هـ.
٤٣ـ صفة الصفوة، جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي، دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.
٤٤ـ الصمت، لابن أبي الدنيا، تحقيق د. محمد احمد عاشور، دار الاعتماد القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
٤٥ـ ضعيف الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الاسلامي، دمشق، بيروت، ١٣٩٨هـ.
٤٦ـ طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب السبكي، تحقيق عبد الفتاح الحلو، محمود الطناحي، الطبعة الأولى، عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م.
٤٧ـ غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة الكرماني، تحقيق د. شمران العجلي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، دار القبلة للثقافة الاسلامية، جده، مؤسسة علوم القرآن ـ دمشق.
٤٨ـ الفائق في غريب الحديث، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق علي



البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة الثانية.
٤٩ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تصحيح وتعليق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٥٠ـ فقه اللغة وسر العربية، الإمام أبي منصور إسماعيل الثعالبي، دار الباز ـ مكة المكرمة.
٥١ـ القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
٥٢ـ الكشاف، محمود بن عمر الزمخشري، دار الباز ـ مكة المكرمة.
٥٣ـ كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.
٥٤ـ لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت.
٥٥ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام احمد ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم، وابنه محمد، مطابع الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٨١هـ.
٥٦ـ مجمع الأمثال، أبو الفضل احمد بن محمد الميداني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية ـ القاهرة، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.
٥٧ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن ابي بكر الهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ.
٥٨ـ مدارج السالكين، ابن القيم، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م.



٥٩ـ المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم، مكتبة النصر ـ الرياض.

٦٠ـ مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلامي دار صادر بيروت، مصورة عن طبعة المطبعة الميمنية، ١٣١٣هـ وطبعة دار المعارف بمصر سنة ١٣٧٠هـ تحقيق أحمد شاكر، وطبعة الاعتصام، تحقيق عبد القادر عطا والدكتور محمد أحمد عاشور.

٦١ـ معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، عالم الكتب، بيروت الطبعة الثانيلا، ١٩٨٠م.

٦٢ـ المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، وزارة الأوقاف، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.

٦٣ـ المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار زين الدين أبي عبد الرحيم بن الحسين العراقي، ضمن إحياء علوم الدين ـ للغزالي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ١٣٥٨هـ.

٦٤ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابو محمد عبد الله بن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الباز، مكة المكرمة.

٦٥ـ مناهج الجدل في القرآن الكريم، د. زاهر عواض الألمعي، مطابع الرياض.

٦٦ـ منهاج العابدين، لأبي حامد الغزالي، مكتبة الجندي، بمصر، ١٣٩٢هـ.



٦٧ــ مؤلفات الشيخ الإمام/ محمد بن عبد الوهاب، تصنيف وإعداد عبد العزيز الرومي، د. محمد بلتاجي، د. سيد حجاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
٦٨ــ نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي البركات الأنباري، تحقيق د. ابراهيم السامرائي، مكتبة المنار ــ الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.
٦٩ــ النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبي السعادات المبارك ابن محمد الجزري، ابن الأثير، تحقيق محمود الطناحي، المكتبة الاسلامية لصاحبها رياض الشيخ.
٧٠ــ الوابل الصيب من الكلم الطيب ابن القيم، تحقيق وتخريج عبد القادر الأرناؤوط ــ مكتبة دار البيان، دمشق، الطبعة الثانية ــ ١٣٩٩هـ.
٧١ــ وفيات الأعيان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٣٩٧هـ.
٧٢ــ وقاية الإنسان من الجن والشيطان، وحيد عبد السلام بالي، دار البشير القاهرة، دار الحمدان، الرياض، الطبعة الثانية.



الدليــل



